حلم

هيثم أحمد

حلم

هيثم أحمد

تدقيق لغوي :عبد الله ابو الوفا

تصميم الغلاف : عبير محمد

رقم ايداع: 2019/2185

ترقيم دولي: 978-977-6594-71-5



دار فصلة للنشر والتوزيع

العزيزيه - منيا القمح - مصر

٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

fasla.pub@gmail.com

Www.FaslaPub.Com

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٨

الطبعه الثالثه يناير ٢٠٢٠



حلم

هيثم أحمد





إهداء

صديقى العزيز

كيف حالك؟

الوقت هنا يمضى سريعًا، يوما يدرك اخر وشهر يلاحق الذى يليه، يخفت ضوء القمر يتسلل البرد تتساقط الاوراق نشعر بالاكتئاب ثم تقسو علينا الشمس بلهيبها، فصولاً تتابع، توقعت ان تتوقف الارض عن الدوران حدادا او تبكى السماء سيولا او تصرخ كما صرخت أنا صامتًا لكن لا شىء يحدث هنا، هل الوقت يمر عندك سريعًا! هل تستطيع ان ترانى! هل يصلك دعائى! أخبره يا الله كم كنت أحبه.

أغفر لى بكائى فانك لا تعلم مدى اشتياقى، فقط وددت ان أهديك "حلم" فهو الوحيد القادر أن يبقى الوصال، أهدى ذكراك إلى كل من احبك يومًا وافتقدك اليوم.

إلى

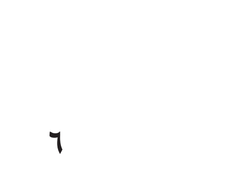
محمد حلمى

محمد إمام

هشام إبراهيم

رزان محمد

غادة سليمان



(١)

مين السبب

"بياع القلوب"

فضل شاكر

ألبوم بياع القلوب - ١٩٩٩

قبلها كان للحب معنًا واحدًا، ومعها تعلمت أن للحب ألف معنى

غير هذا الذى اعتدنا عليه.

فى غرفة مساحتها لا تتعدى الأربع أمتار مربعة جلس حلمى وهو ينظر لبندول ساعة تعدى عمرها العشرين عامًا، يتابع تأرجحه بدقات منتظمة من قدميه، وهو يرتدى نظارته الطبية بعد أن مسح عنها بعض ذرات الغبار، وبابتسامة لم تفارقه منذ أعوام، ضغط على لوحة التحكم فى الجهاز اللوحى لتعلن عن استعداده لاستقبال أول ضيوفه، بابتسامة مماثلة لتلك التى يبتسمُها حلمى فتحت الباب امرأة قد تخطت عقدها الخامس.

– "جاهز يا حلمى؟"

قبل أن يجيب كانت موسيقى كلاسيكية تزين غرفته،

– "أنا جاهز دائمًا بيكى يا حبيبة".

لم يكسر هذا التناغم سوى امرأة فى عقدها الثالث أكتسى وجهها بعلامات التوتر وقبل أن تجلس:

– أنا بقيت مضغوطة جدًا يا دكتور، خلاص مش قادرة أنا فعلًا تعبت مش معقول تكون حياتى كده".

مع ابتسامة صاحبت خروج زوجته.

– "احنا لسه فى الأول".

– أنا آسفة، بس أنا أساسًا بكون خائفة حد يشوفنى وأنا جاية هنا".

– «ماتخافيش عشان أنت مش بتعملى حاجة غلط وممكن بقى تهدى».

– «هاحاول».

– «تمام، ممكن بقى تعبرى لى عن مشاعرك دى دلوقتى».

– «ما هو أنا بقول لك أنا مضغوطة».

– «لا أنا عايز وصف للمشاعر، اعتبرى الشعور ده حاجة ملموسة، يعنى ممكن يكون لونه ايه؟ أكثر جزء بيتعبك لما تحسى بالشعور ده، ايه الصور اللى بتشوفيها، أنا محتاج أسمع شوية منك وافهم شعورك ده».

– «لونه وحاجة ملموسة**!!**»

– «بالضبط، ممكن تغمضى عينيكِ لو ده هايريحك».

– «لونه ممكن يكون رمادى فاتح، أنا عمرى ما فكرت فى الشعور كده مش عارفة».

– «خدى وقتك».

– «أنا كتافى وجعونى دلوقتى و أنا بفكر فيه».

– «هايل، برافو عليكِ».

– «نفسى بيكون ضعيف وجوايا غل ومش لاقيه له سبب».

– «تمام، تقدرى توصفى الشعور ده؟ ممكن فى جملة أو كلمة زى ما تحبى».

– «مشتتة».

- «فى صورة بتصاحب الشعور ده؟»

- «صورة!!»

بعد لحظات من التفكير:

- «إنى قاعدة فى لجنة امتحان وعارفة إنى هسقط».

وقف حلمى وتوجه إلى لوحة بيضاء.

- «ممكن تتخيلى الصورة دى على اللوحة؟»

- «شيفاها».

- «طيب ممكن تقسميها أربع أجزاء؟»

- «تمام».

- «غيرى أماكنها وكررى الموضوع ده كذا مرة لحد ما الصورة تروح».

تركها حلمى لدقائق حتى تشوهت الصورة فى مخيلتها.

- «كده الصورة تاهت».

- «ايه علاقة ده بمشكلتى؟»

- «مشاعرنا دائمًا بتكون مربوطة بصور والمشاعر مش هتختفى غير لما تختفى صورها، حاولى تكررى ده دائمًا».

- «حاضر، هاحاول».

- «هايل، ممكن تقولى لى فى علاقة بينكم؟»

- «بشكل مستمر».

- «بتوصل العلاقة لمرحلة الحميمية؟»

- «لا دى مش فاكرة أخر مرة وصلنا لها كان امتى».

لا زلن جميعهن يتحدثن بنفس النبرة وبنفس الضعف، تختلف المشاكل وتظل الإجابات متماثلة، ولكن مسحة الحزن فى عينيها أجبرتنى أن أنهى اللقاء عند هذا الحد، على الرغم من أن اللقاء لم يتعد الثلاثين دقيقة.

- «كفاية كده النهاردة».

- «أنا لسه محتاجه أتكلم».

- «هنتكلم كثير مع بعض، وماتنسيش اكتبى مشاعرك».

- «حاضر».

- «على ميعادنا بعد ٣ أيام».

- «على ميعادنا، شكرًا يا دكتور».

- «ماتنسيش الموضوع مش سهل ومحتاج شوية مجهود».

- «ربنا يسهل، تفتكر هاقدر؟»

- «الإجابة عندك أنت لوحدك».

يخرج حلمى دفتر ملاحظاته ويكتب،

ساعات طويلة أقضيها هنا بلا نتيجة ترضينى، يدخل من هذا الباب من يعقد آمالًا على ولا أحد يدرك أننى أبحث مثلهم عن الأسباب.

***

بدأ العام الدراسى لعام ١٩٩٩-٢٠٠٠، الساعة السابعة صباحًا فى غرفة ياسمين موعد لقائهم اليومى قبل بدء اليوم الدراسى، أسباب عدة تجعل شقة ياسمين هى المكان الأمثل للقائهن، الشقة تبعد عن المدرسة بثلاث دقائق سيرًا على الأقدام، ياسمين لها غرفة خاصة، ووالدتها تتجه للعمل مبكرًا ومع غياب الأب تبقى ياسمين بالشقة بمفردها مع أختها التى التحقت بالجامعة هذا العام، وأيضا لها غرفتها الخاصة، غرفة ياسمين مثالية لتجمع نسائى من أى نوع وفى أى عمر، ولأنهن أكثر الصديقات حظًا من وجهة نظر هبة كانت لديهن هذه الغرفة، الغرفة السحرية كما تلقبها مها، كافة أدوات التجميل متاحة داخل علب مخصصة موضوعة بعناية على تسريحة كبيرة تنازلت الأم عنها لياسمين، أمامها يقبع السرير بينهما متر ونصف المتر مساحة تكفى غادة لتتمايل قليلًا وهى تستمع إلى أغانيها المفضلة، الدولاب على اليسار بالكاد تظهر أخشابه من كثرة المرايا، وعلى الحائط صور لكل من عشقته من المطربين أو الممثلين، وفى نهاية الغرفة مكتبة صغيرة معلقة تحتوى على شرائط كاسيت، هى مملكتهن الخاصة التى صنعتها لهن الظروف.

حضرت هبة مبكرًا بوجه منتفخ لاحظته ياسمين وحاولت أن تمعن النظر ولكنها فشلت فهى بالكاد مستيقظة.

– «أنت مش نائمة ولا معيطة؟»

لم تكن هبة على استعداد لخوض نقاش، أشارت لها بيديها:

- "بعدين، بعدين".

على الرغم من هذا الانتفاخ الظاهر على وجهها ولكنه لم يخف جمالًا اعتادت هبة أن تتباهى به، هى أجملهن ظهرت عليها علامات الأنوثة المبكرة أطول بسنتيمترات عن صديقاتها، ظهر لثدييها استدارة قبلهم، بياض هادئ فى الوجه تزينه عيون رمادية، يتناغم خصرها مع أردافها، لوحة مُعبرة عن جمال هادئ، ورغم كل القيم التى تضرب بها عرض الحائط إلا أن الجميع كان يعاملها معاملة الأميرات، ألقت هبة نفسها على السرير وضغطت على زر تشغيل الكاسيت ليظهر صوت مصطفى قمر:

" قد القلب ما لام على الحب أهو دق ورق وحب وطب".

بلباس نوم لا يخفى شيئًا من مفاتنها، تحاول جاهدة أن تسابق عمرها، بدأت ياسمين فى التمايل على أنغام نار الحب وهى تهز أكتافها بانسيابية، تتمتع ياسمين بأنوثة طاغية تستطيع أن تؤثر بها على رجال أكبر منها سنًا، هى ليست أجملهن ولكنها تهتم بتفاصيل تكفى لأن تجعلها أكثرهن إغراءً، ظلت تتمايل حين وجهت هبة إليها الحديث وهى بالكاد تفتح عينيها:

- "بقولك ايه ماتعملى لى الحتة دى قبل العيال ما تيجى؟"

قالتها وهى تشير إلى بعض الشعيرات أسفل أنفها، دون أن تتردد توجهت ياسمين إلى التسريحة وهى تخطو خطوة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف بإيقاع يتناسب مع الموسيقى، حتى وصلت إلى إحدى علبها السحرية وأخرجت منها مستلزمات إزالة الشعر، وتوجهت إلى وجهها وهى تغنى:

" يا حبيبى يا غنوة ليلية أرحم قلبى"، قاطعت هبة غنائها:

– "وحياة أمك اوعى تعوريني بلاش فضائح".

بأصابع مدربة ومتمرسة لفت ياسمين الخيط على أصابعها ووضعت طرف فى فمها، وباحترافية بدأت فى إزالة الشعيرات، كادت هبة أن تتحدث:

– "بقولك ايه هاتتكلمى هاتتعورى وهاتقولى أنا السبب اسكتى احسن".

مسكت هبة يد ياسمين لتتوقف:

– "تصدقى محمد علاء وماهيتاب اتصاحبوا".

حدقت ياسمين:

– "أزاى يعنى؟ ده الواد زى القمر وده صاحبها على ايه بقى إن شاء الله؟!"

لم تهتم ياسمين أن تكمل هذا الحوار فكل تركيزها كان مُنصب على وجه هبة:

– "هو أنت مالك يا بت أنت معيطة ولا فيكِ ايه؟"

– "انجزى طيب وأنا هاحكى لك".

رن جرس الباب ثلاث رنات سريعة معلنًا قدوم غادة، وزنها زائد كالعادة وترتدى كوتشى على جيب طويلة وقميص داكن وضفيرة تصل إلى منتصف ظهرها، خمرية اللون وجهها مستدير تختفى ملامحه خلف هذا الوزن، لم تلق التحية على ياسمين أو هبة، ألقت شنطة المدرسة عند باب الغرفة وتوجهت إلى الكاسيت مباشرةً.

– "ايه ده مصطفى قمر، طب أنا هاجيب أغنية بنلف، دى أحلى أغنية فى الشريط، ده أنا بفكر أسجلها على شريط وش وضهر وافضل مشغلاها".

لم تكن ياسمين قد أنهت عملية التنظيف:

– "يخرب بيتكم برده بتعملوا البتاع ده؟!"

بدهشة ردت ياسمين:

– "وهو أنتِ مش بنت ولا ايه؟؟ خليكى فى الأغانى بتاعتك دى".

– "بنت بس فى حاجات بتتعمل فى أماكن معينة ، اسكتى بقى عشان اسمع".

بدأت غادة فى الغناء:

" بنلف نلف نلف والسنين بتلف تلف تلف وجراح بتزيد وآلام وبتخف".

إيقاع منظم على الباب.

– "طب افتحى الباب لحد ما اخلص هبة، تلاقيها مها".

وضعت الكاسيت على وضع الإيقاف المؤقت وذهبت إلى الباب لتدخل مها، لم تلق غادة عليها التحية وعادت إلى الكاسيت مرة أخرى، طبعت مها قبلة على خد كل واحدة، صاحبة الابتسامة والتفاؤل اللا متناه والروح الأجمل، ميزان السعادة وخفة دم متحركة، بشرة بدرجة هادئة من اللون البرونزى، وعيون عسلية فاتحة، وملامح صغيرة وجسد لا يختلف كثيرًا عن تلك الملامح كانت مها أكثرهن رقة.

انتهت ياسمين وبدأت فى ارتداء ملابسها ولكن مها لم تترك الموقف يمر:

- «المرة اللى جاية سويت بقى يا حبيبتى».

قالتها وهى تتظاهر بمضغ لبانة بتمايل كفتاة ليل متمرسة،

كانت الساعة تعلن عن الثامنة وعشر دقائق، لا زالت غادة تستمع لأغنية «بنلف»، وهبة تغسل وجهها من آثار إزالة الشعر، وياسمين وقفت أمام إحدى مراياتها لتتأكد من أن تجسيمة جيبتها القصيرة مناسبة، وفتحت أول أزرار القميص وحتى لا يظهر حدود نهديها ألقت بالقميص إلى الخلف كاشفًا عن رقبتها وأطراف من كتفيها، نظرت مها إلى ثلاثتهن:

- «يلا يا بت أنت وهى مش هانخلص».

***

- «أدخل الضيف الثانى يا حلمى».

- «استنى دقيقة واحدة ودخليه».

أغلق الموسيقى الكلاسيكية ورش معطر خفيف الرائحة، ثم رفع نظارته للضوء ليتأكد إنه لا يوجد غبار عالق عليها.

- «أهلًا، أهلًا».

- «أهلًا يا دكتور».

دقائق من الترحيب وكلام مُرسل عن أحوال زوجته حين قاطعه حلمى بسؤال:

– «أنت بتكره مراتك؟»

– «لا، أنا مش باكرهها خالص يا دكتور، مين قال كده؟»

– «طيب ليه أنا مش حاسس أن عندك مشاعر ليها؟»

– «دى المشكلة أنا مابقتش عارف مشاعرى ناحيتها، والصراحة بحاول أدور على المشاعر دى مع واحدة ثانية».

– «بتدور على المشاعر دى قصدك فى حد ثانى بعينه؟»

– «لا مافيش واحدة معينة بس دائمًا بيكون فى واحدة تانية جوايا، ممكن تكون واحدة لسه عارفها أو واحدة كنت بحبها زمان، أى واحدة ماعنديش قاعدة ثابتة، المهم إنى عايز أحس بمشاعر».

– «أنت اتجوزتها عن حب؟»

– «حتى دى مش فاكرها، مش عارف شعورى كان ايه وأزاى وهل فعلًا كنت بحبها ولا كان جواز مبنى على التوافق».

– «يعنى ايه توافق؟»

– «يعنى صالونات بس مودرن شوية».

– «تفتكر ده السبب اللى مخليك عايز تحب؟»

– «أنا هنا عشان حضرتك تقولى الأسباب».

نظر حلمى إلى ضيفه ثم وضع نظارته على المكتب وبابتسامة خفيفة:

- «أكيد هساعدك بس مش هاقدر اعمل أى حاجة غير لما تكون مقتنع من جواك».

طلب الضيف أن يشعل سيجارة ووافق حلمى وأشار إلى الشرفة:

- «ما هو أنا باجى يا دكتور وبحاول اقتنع».

- «بس أنت لحد دلوقتى مش مقتنع وده هيعطل حاجات كثير».

- «دكتور أنا بحاول، اه قبل ما انسى فيه حاجة مهمة عايز اقولها لحضرتك».

- «قول».

- «أحيانًا بحلم حتى وأنا صاحى إنها عملت حادثة بالعربية وكل اللى فيها ماتوا».

- «بتحلم أن مراتك تموت! للدرجة دى أنت عايز تتخلص من المسؤولية؟»

- «والله العظيم مش أمنية ولا نفسى إنها تحصل بس على طول فى دماغى».

نظر إلى شاشة الحاسب الآلى وتابع وميض مؤشر الحاسب قليلًا ثم أكمل الكتابة.

أخرج حلمى دفتر ملاحظاته ثم كتب فيه،

أنا لا أمتلك مفاتيح سحرية، لماذا يرفضون مساعدة أنفسهم؟ لماذا يخاف الجميع من مواجهة الحقيقة؟

***

فى شارع صغير خلف المدرسة مباشرةً يقع مقهى الصعيدى، مثله مثل العديد

من المقاهى، تلفاز تسع وعشرون بوصة مُعلق فى منتصف المقهى يعرض أفلامًا أجنبية طوال الوقت عدا أوقات المباريات، نصبة داخل المقهى تطل على منور العمارة المجاورة، المساحة الداخلية للمقهى كبيرة إلا أن المعلم يُصر على استخدام الرصيف بأكمله حتى وإن أعاق سير المارة، هى مكان التجمع الأساسى قبل بدء يومهم الدراسى، وكثيرًا ما تكون الملجأ إذا ما قرروا "الزوغان" من المدرسة، من جهة أخرى هو مقرهم الرئيسى لمحاضرات يومية عن الطريقة المثلى للعب الشطرنج والدومينو أو حضور مباراة نهائية فى الطاولة بين شيخين تخطا سن المعاش وقد ألهبا حماس جميع روادها، مدرسة الحياة كما يلقبها عماد.

مرتديًا جينز وقميص يظهر عضلات صدره ولا يخفى قوة ساعديه، وضع خالد علبة السجائر على المنضدة، رفع خصلات شعره إلى أعلى كم تمنى لو وافق والداه أن يترك لشعره العنان ويعصبه من الخلف، ولكنه لا يتلقى من والده سوى النقد على الرغم من غيابه الدائم، أزاح الفكرة عن رأسه وهو ينادى على صبى المقهى:

– "يا سيد واحد خمسينه".

أشعل سيجارة قبل أن يأتى الشاى، فلم يتذوق متعتها منذ السادسة من مساء أمس، لم تسنح الظروف أن يخرج من المنزل أو حتى أن يشرب واحدة داخل المرحاض، على صوت محمد قنديل وأنغام أغنية "يا حلو صبح يا حلو طل"، بدأ فى رشف رشفة سريعة من كوب الشاى ومزجه بنفس عميق من سيجارته، يستمتع خالد بالأغانى القديمة، ولكنه لا يفصح عن هذا الاستمتاع إلى أحد، مع النفس الثانى من سيجارته شعر بدوار بسيط مع وصول النيكوتين إلى صدره، فى نفس لحظة وصل شريف مرتديًا (كابه) الأحمر المرسوم عليه بخط

اليد، وكعادته أخرج القميص بكامله خارج الجينز فى محاولة منه لإخفاء نحافته، وساعة بلاستيكية ظن أنها تزين معصمه، لا تستطيع كشف ملامحه بسهولة لشدة نحافته وبمجرد جلوسه سأل خالد باستغراب:

– "ايه علبة السجائر دى! دى بيضاء؟"

– "اه دى لسه جديدة".

– "يعنى اروح للراجل اقوله هات واحدة أحمر أو أبيض؟"

– "فى ايه يا ابنى؟"

أخرج شريف سيجارة من العلبة وبدأ يحركها بين أصابعه.

– "شريف بطل لعب بالسجاير، أنت مش بتشرب، ده غير أن العلبة بقت ب ٣ جنيه و ٨٠ قرش".

– "بقولك ايه هو عماد كان زعلان منك ليه؟"

رغم الصداقة بين خالد وعماد إلا أن روح التنافس بينهما قوية، ضحك خالد إلى أن امتزج ضحكه بسعال:

– "لا مافيش أصل من كام يوم عرفت إنه قاعد مع واحدة فى مكان كده، أخدت واحدة تانية كان مصاحبها وورحت له بيها".

– "وعماد عمل ايه؟"

– "ابن لعيبة، نفض للبنت صاحبته القديمة اللى كانت معايا خالص، وتانى يوم لقيته بيكلمها وبيصالحها ازاى مش عارف؟"

قاطعهم سيد القهوجى وهو ينظر إلى شريف:

- «هاتشرب حاجة؟»

- «لا احنا قايمين دلوقتى».

تركه سيد والحسرة على وجهه وهو يتمتم: «اصلنا فتحنا حضانة هنا».

سمعه عماد لحظة دخوله واحتد عليه:

- «فى ايه يا سيد ما تلم نفسك ع الصبح احنا عيال ولا ايه؟»

اختلف وجه سيد فى لحظة دخول عماد، سيد يحلم أن يكون مثله بالسلسلة الفضة والنظارة الشمس وعلبة السجائر التى لا يتركها من يديه والشعر المصفف بعناية ولون بشرة هادئ، وسامة رجولية يتمناها أى رجل فى تلك المرحلة العمرية، لم يهتم عماد بنظرات سيد وإنما توجه إلى خالد الذى لا يزال يستمتع بسيجارته الأولى ويحاول أن يخفى العلبة عن شريف، الذى شعر بمرارة لأنه لا يستطيع أن يتحدث لأحد حتى عامل القهوة مثلما يفعل عماد.

نظر خالد إلى عماد:

- «كنت فين امبارح؟»

أشار عماد بأحد أصابعه كنوع من الاعتراض على خالد:

- «وأنت فاكر إنى هاقولك بعد كده!»

ضحك خالد من جديد:

- «وأنت بيحوق فيك حاجة ياد أنا كنت مستنيك تتصل».

ثم أكمل الجملة بإحدى السبابات المتداولة بينهم،

لا يعلم شريف عن ماذا يدور الحوار، ولكنه لا يزال ممسكًا بالسيجارة يحركها بين أصابعه، ويرسم مخطط وهمى للرد على سيد صبى القهوة المرة القادمة.

- «اتصل بيك ليه مش كنا متفقين؟»

- «متفقين إنك تتصل بى الأول».

لم يخل الحوار من بعض السباب الذى وجهه كل منهما إلى الآخر خاصة عندما تذكر مقلب خالد، لا يستمر خلاف أى منهم طويلًا فرابطهم أقوى من أى خلاف.

- «مش مهم أنا لقيتك ماظهرتش، شقطت واحدة وطلعنا المقطم».

يتدخل شريف فى الحوار بإحدى أسئلته:

- «أنت بتلاقيهم ازاى؟»

- لا يا شيكو أنا مش بدور عليهم هم بييجوا لوحدهم».

- «مافيش حاجة بتيجى لوحدها لازم حد يجبهم».

نظر عماد للصوت القادم من مدخل المقهى.

- «سافل، بس والله العظيم ياد يا وائل كانت عايزاك امبارح، القعدة كانت رخمة».

بنظرة أسى تحدث صاحب الوجه الممتلئ والكرش الذى لازمه معظم فترات حياته.

– "طب ما أنت عارف أبويا مافيش خروج بعد ٦".

قاطعه عماد بسباب لوالده، لم يبد وائل أى اعتراض وأكمل:

– "وهو أنت شايفنى المهرج بتاع أهلك؟"

ضحك عماد وهو يتساءل:

– "بقولكم حد عايز يروح المدرسة ؟؟"

***

ظل حلمى يتصفح أوراقه ودفتر ملاحظاته بعد يوم أخر من لقاءاته، أخذ يقرأ ما كتب سابقًا ويدون ملاحظات جديد فى دفتره، كل فرد كان له ملفُ خاص وكل علاقة بين كل أثنين منهم كان لها دفتر مختلف.

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

لا زال مكاننا المُفضل فى الزاوية المنطوية يذكرنا، المنضدة التى شهدت على أول تلامس حب بأيدينا، الحائط يحتضن نفس الصور ونفس المشاعر نفس الذكريات تتسلل إلى قلبى، أصوات ضحكاتنا لا زالت تتردد فى أذنى، القسم المنقوش على تلك الأريكة بأن هذا الحب سيبقى، توسلاته أن أقبله كحبيب قبل أن يكون زوج، كل شىء كما هو لم يتبدل، عُدت مع ذكرياتى إلى الجينز

وشعرى المعصوب بحزام رفيع، وعاودتنى همسات كلماته ووعد أننا سنبقى نحن وعشقنا معًا، ولكن تغير كل شىء فرغم محاولاتى المستميتة أن نبقى كما كنا إلا أن علاقتنا كانت تنهار تدريجيًا، وكلما تذكرت كيف كان إصراره على الارتباط أزداد حزنًا، وعلى الرغم من كل ما صار بيننا إلا أننى لا زلت أشتاق إلى صوته.

- «الو، أنت عارف أنا فين دلوقتى؟»

- «فى حاجة؟ أنا مش فاضى».

- «لا مافيش».

- «أنت فين يعنى؟»

عصبية غير مبررة فى كل مكالمة لقد مللت.

- «أنا فى "سوا" دلوقتى».

- «اه طيب، وهو لسه موجود! سلام هاكلمك بعدين مش فاضى».

كان "سوا" هو منزل الحب الذى خلقناه سويًا، دفعنا اسم المكان لاختياره، تعاهدنا هنا أن نبقى "سوا"، وأقسمنا على هذا مهما طال بنا الوقت أو اختلفت الظروف، تعاهدنا على قدسية مشاعرنا وعلى أن يزيدها زواجنا قدسية، ربما سذاجتنا كانت تقودنا ونحن نكتب هذا التعهد بدمائنا.

رغم الاختلاف الذى طرأ على مظهرى، لكنه تعرف على بمجرد أن رآنى.

- «أزىً حضرتك؟ بعد السنين دى حضرتك جيتى تانى؟»

- «ايوه، أنت لسه شغال هنا؟»

- «اه، بس أنا بقيت المدير يا افندم».

- «برافو عليك بجد».

- «الاستاذ اخباره ايه؟ بقالكم يجى خمس سنين ماجيتوش».

- «لا ستة مش خمسة».

- «امانة تبعتى سلامى للأستاذ، هو جاى؟»

- «لا».

- «طيب حضرتك تحبى تشربى ايه؟»

- «ممكن قهوة مظبوطة».

سيجارة أخرى لن تضر، كل شىء يتذكره إلا هو لم يعد يتذكر شيئًا، ونسيت معه نفسى كيف نسى**!!**

- «الو».

- «ايه تانى؟»

- «لا خلاص، سلام».

صوته سيزيل متعة اللحظة.

***

(دفتر الملاحظات – العقل)

أكثر ما يغضبنى هو شعورى بالإحباط وأنى سيئة بلا قيمة وأنه منّ على بالزواج، أنا من أنجح فتيات جيلى وأنجح صديقاتى، أشغل منصب مرموق فى الشركة التى أعمل بها، رأيى مسموع فى كل القرارات المصيرية، رغم سنى الذى لم يتخط الخامسة والثلاثين، ولكنى أحظى باحترام وتقدير من الجميع، لكن لا أحظى بمثل هذا الاحترام والتقدير فى منزلى، أتحول إلى خادمة دون أجر بمجرد أن أخطو إلى المنزل، أتلقى تشكيلة مختارة من أجود الإهانات الزوجية، كثيرًا ما أشعر إنه عقاب على رفضى لـ .....، أخاف حتى أن أذكر اسمه فتنهمر ذكريات لا أقوى على تحملها، لم يعد يجمعنا أى شىء وأصبح الرابط الوحيد بينى وهذا الشخص الذى حُسب على كزوج الرسائل النصية فقط.

– «محتاجة لبن للبنت من فضلك، هات وأنت راجع».

– «هو مليون مرة بقى».

– «أنا بس بافكرك».

حتى ما يخص ابنته لم يعد يهتم به.

ليس ذنبى شعوره بالغيرة من نجاحى واختلاف المستوى الاجتماعى، ولكن ذنبى الوحيد أننى أخطأت الاختيار، لم يعد وجوده من عدمه يعنينى، لم أعد أراه أو أسمع صوته وهو ينتقد كل ردة فعل منى، هو الآن لا شىء سوى خيال أب بدأ يتلاشى، لا سبيل سوى الانفصال، أنا فقط لا أملك شجاعة اتخاذ هذ القرار أو ربما أحتاج إلى دفعة وبعض الوقت.

لا يوجد من ينقذنى سواه صديق مشترك بينى ومن فطرت قلبه.

– «الو أنت فى الشغل؟»

– «لا أنا قاعد على البحر باخد تان».

– «يا سخيف».

– «ما هو ده مش سؤال برده».

– «ممكن طلب».

– «عارف أنت عايزة ايه، هو كويس وزى الفل وبطلى تسألى عنه كفاية».

– «والله مش بحبه خلاص، بس صعبان على وندمانة إنى سبته».

– «تعرفى أنت سألتينى السؤال ده كام مرة؟»

– «عارفة».

– «طيب والإجابة بتكون ايه؟»

– «لازم نتحمل نتائج اختياراتنا ونتقبل البدائل».

– «لا فى حاجة كمان، إن ارتباطنا بالحاجات القديمة شوية كلام فارغ، وبتقتل اللى فاضل من مشاعر ممكن نعيش بيها، وسلام بقى دلوقتى، هاكلمك كمان شوية».

– «أنت رخم جدًا، سلام».

– «أنا خايف عليكِ من نفسك، خلى بالك».

– «سلام، ماتخافش».

***

(دفتر الملاحظات – الروح)

كان قرارى بالتغيير نابعًا من يقين داخلى، كنت محتاجة قوة أتقرب من ربنا، وقررت ألبس الحجاب دون أى إجبار من أى نوع، قناعاتى ثابتة وأن هذا هو الزى الإسلامى الذى فرضه دينى على وعلى غيرى، أعرف دينى جيدًا لست مسلمة اسمًا فقط، أحيا لزوجى حتى لا ينظر لغيرى أبدًا، وأقتدى بالسيدة خديجة وأعرف واجباتى جيدًا، وبالرغم من كل هذا لا يعجب، خلافات شبه يومية وعلى أتفه الأسباب.

– «يا شيخة يا رب أموت واريحكم».

هكذا ينهى مشاجرته معى، هروب مستمر من المواجهة، ضعف فى الشخصية ورفض لمعايشة الواقع، ثم يهدأ قليلًا:

– «يا شيخة اتقى الله فى نفسك أنت مش معقولة».

كعادتى مؤخرًا أصمت، لم أعد أمتلك الطاقة لأستمر، أصبحت سيناريوهات ثابتة دون أى تغيير، سيهدأ مرة أخرى ويطلب منى الاستغفار والصلاة ويترك المذياع على القرآن ويستعيذ بالله من الشيطان الذى دخل بيننا، أنا لا أنكر فضل الصلاة والقرآن ولكنهما ليسا فقط الحل، الحل بداخلهما وعلينا أن نبحث لنجده.

– «استغفرى ربنا وصلى ركعتين، مش عارف بس احنا وصلنا لكده ازاى!»

أضحك الآن، أنا أعلم كل تفاصيله وهو لا يعلم شيئًا عنى، لا يزال متيقن أن خلافاتنا طبيعية ولا يدرك أن مشاعرى تخطت الحدود الطبيعية.

للمرة الأولى فى حياتى أدرك كيف تخون الزوجات أزواجهن، لقد فقدن المشاعر ليشعروا بالندم، وأنا لن أفقد مشاعرى لأننى لو فقدتها لن أكون مثلهن ولكنى سأنفصل عنه بهدوء.

***

(دفتر الملاحظات – القلب)

- «أنت بقيت أنانى جدًا».

- «أنا خايفة لتكون بتخونى».

- «حرام عليك امتى هاترجع زى الأول؟»

هم الجمل الثلاثة الأكثر تداولًا داخل جدران منزل الزوجية، أوشكت زوجتى أن تكتب هذه الجمل على أطباق المائدة.

– «والله العظيم حرام عليك، أنت مش متجوزها عن حب!»

– «اه».

– «طيب مالك؟ ده أنت حفيت ورها».

– «كنت حمار».

هكذا ما يبدأ صديقى معاتبتى على أسلوبى فى الحديث عنها.

– «يا ابنى أنت مش متخيل احنا بقينا عاملين ازاى! دى فظيعة».

– «يا حلوف أنت دى كل ما تكلمنى تعيط».

– «طب ما أنا ممكن اصوت والطم كمان لو حابب».

قالها وهو يبتسم ويأخذ نفسًا عميقًا من الشيشة، ثم أكمل وهو يضحك بصوت لفت انتباه قاطنى القهوة:

– «اكيد كمان قالت لك خاين وأنانى ومش زى زمان».

لم تكن حياتهما تسير بصورة جيدة رغم قصة الحب، تحولت الحياة تدريجيًا إلى معركة يريد كل طرف فيها الانتصار، هى لا تهدأ إلا عندما تعقد حاجبيها وتتعمد انتقاده فى أهم مميزاته، وتستمر فى صراخ متواصل دون سبب مفهوم.

– «وأنت عرفت منين إنها قالت لى كده؟»

– «اللى ربى خير من اللى اشترى».

– «طب بلاش اللى فى دماغك، أنت مش قد جوازتين».

– «بص يا صديقى العزيز أنا هاعمل اللى أنا عايزه، ويلا عشان نلعب».

***

(دفتر الملاحظات – العقل)

كانت الفتاة المثالية التى حلمت بها لتكون زوجتى، خضت حروب كثيرة - حتى مع نفسى - قتلت مشاعر داخلى لأحظى بها زوجة، أسوأ أيامى كانت

تلك التى تمر دون أن أخطو خطوة أقرب إليها، كنت دائم المحاولة للتقرب منها والحديث معها، كنت أشتاق أن أتحدث بنفس أسلوبها، صرت مهتمًا بكل ما تهتم به، ليس بدافع الحب ولكنها كانت الوسيلة لتحقيق هدفى، إلا أننى أعترف أننى ظننت إنى أحبها، وعدت معها إلى كتابة خواطرى، عشت معها حلم حتى استيقظت منه على كابوس، فقدت بسببه حبى الحقيقى الوحيد، فقدت حب طفولتى ومراهقتى وشبابى، ولكن رغم فشلى معها أنا لا أقوى على العيش دونها، أصبحت جزءًا من صورة اجتماعية رسمتها لنفسى لو رحلت سأخسر كل شيء .

بمجرد شعورى بهذا الضغط أنعزل عن الباقين وأخرج للتدخين وكتابة بعض الخواطر على هاتفى، والتى اعتدت حذفها بمجرد الوصول للكلمة الأخيرة.

«بقى لى من عبيرها ذكرى تطل بين الحين والآخر على ما تبقى من مشاعر، فيمتزج عبيرها بدمعة تسقط رغمًا عنى لتعطر ما بقى من روحها داخلى ويتبعها دموع انهيار على باقى روحها التى ما عادت تُسَكِّنُنى».

ضغط على خيار الحذف بمجرد دخول أحد زملائه.

- «مالك؟ شكلك تعبان».

- «لا مافيش كله تمام بس مش نايم».

- «اللى يشوفك يقول بتعيط!»

ضحك بصوت مرتفع وهو يقول:

- «أنا اعيط».

وقال لفظ اعتراضى ليبدى عدم اهتمامه وتركه.

***

(دفتر الملاحظات – الروح)

داخل المسجد الذى يتابع فيه درسه الأسبوعى.

– «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

– «صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يا شيخنا».

– «شوف أنت فى صدرك ايه يا ابنى، وأنت هاتعرف المشكلة».

– «أقسم بالله مش باعمل لها حاجة».

– « من حلف بالله فليصدق».

– «يا شيخنا بس».

– «لا بس ولا غيره، ربنا يا ابنى خلقنا مختلفين، شغف النساء غير شغفنا، ما ينفعش الأدوار تتبدل، ناموس الكون يختل وتحصل مشاكل».

– «حضرتك تقصد ايه؟»

– «بحكم التطور حاجات كثير أتغيرت فى سلوكياتنا، النساء بتعمل شغل الرجالة والعكس، نصيحتى ارجع للفطرة».

– «مش فاهم».

– «من اللى أنت بتقوله إنها متحملة مسؤولية حاجات المفروض أنت تعملها».

– «ما هو أنا على طول مش فاضى».

– «بداية الانهيار البحث عن الحجج».

تركت الشيخ ولم أصل عنده إلى ما يشفى صدرى، أنا غير جميع الأزواج، أتركها تخرج مع صديقاتها وقتما تشاء، أجالس الأطفال، وكثير ما أقوم بأعمال فى المنزل ماذا تريد! لم أقو عن منع نفسى وأنا أضغط على زر الاتصال بها.

– «يعنى أخرتها ايه؟»

– «اخرت ايه؟»

– «أنا باعمل لِك كل حاجة أنت عايزاها، خروج ودلع وفسح».

– «وهو أنا مش بعمل».

– «لا أنت عايزة كل حاجة بطريقتك».

– «ايوه أنا عايزة كل حاجة صح».

– «عمرك ما هاتتغيرى أبدًا».

– «أنا اللى اتغير! أنا هاقفل من فضلك ماتتصلش».

***

بعد يوم طويل وفى جو اتسم طابعه بالهدوء إلا من صوت بندول الساعة وهو يخترق الهواء فتحت حبيبة الباب.

- «خلاص يا حلمى مافيش ضيوف تانى».

نظر إليها بابتسامة لم تفارق نظرته إليها.

- «طيب تعالى أقعدى معايا».

خلعت ذاك الرداء الأبيض وعلقته على شماعتها الخاصة ثم حجابها.

- «يعنى اقعد واعمل فيها ضيفة».

وقف حلمى أمامها واحتضن يديها ثم اتجه بها إلى الشرفة التى حولها إلى مشتل صغير.

- «تعرفى يا حبيبة أنا طول عمرى نفسى أعترف لك بحاجة، بس بخاف».

- «عايز تعترف بأية؟ مخبى ايه يا دكتور؟»

- «عندى اعتراف، بس هاحكى لك شوية قصص كده».

- «قصص، واعتراف! مالك يا حبيبى؟!»

- «أنا حاسس إنى مُقصر فى حبك».

- «أنت مُقصر، أنت!! أنت حياتى وإياك تقول كده تانى».

جلس حلمى على كرسيه الهزاز وهو لا يزال ممسكًا بيديها.

- «لا يا حبيبة أنا قصرت، أحيانًا كثير مشاعرنا بتتغير».

نظرت إليه بنظرة ثقة.

- وارد يا حبيبى، يمكن عشان بنتعود بس بنرجع تانى».

- «حياتنا فيها حاجات كثير ومشاعر أكثر وفكرة التعود دى شماعة بنتحجج بيها».

أشارات حبيبة إلى مكتبه.

- «حلمى هو الاعتراف والتقصير والقصة ليهم علاقة بالورق الكثير ده، ولا أنت عايز تتجوز تانى؟»

- «أنا اتجوز عليكِ، ده أنا ابقى غبى لما اكون عايش بيكِ واروح ادور على واحدة تانية عشان تاخد منك حته منى».

- «ايه يا حلمى ده، لا ده أنا ممكن اشوف لك عروسة بعد الكلام ده».

عاد حلمى إلى مكتبه ووضع نظارته على المكتب، ثم أشار اللى أوراقه المُعلقة أمامه وهو يحاول بها ترتيب أفكاره.

- «سيبينى احكى لك طيب وبعد كده نشوف موضوع الجواز ده».

أخذت نفس وهى تبتسم ثم جلست على الأرض ووضعت رأسها على فخذيه.

- «قول».

أخذ يداعب شعرها واعتدل فى جلسته وأغمض عينيه.

- «كل تفصيلة فى حياتنا ليها قصة والورق ده فيه رواية مشاعر كثيرة».

- «يعنى أنت هتكتب رواية عن مشاعرنا».

- "تقريبًا".

لم تستطع مقاومة النوم احتضنت ساقيه بقوة وظلت تتثاءب حتى خارت جفونها، ظل على وضعه يداعب خصلاتها بيده اليسرى وأمسك باليمنى قلم وفتح دفتر ملاحظاته وبدأ فى الكتابة.

ترك حلمى القلم بعد لحظات ثم مال نحوها وبالكاد طبع قبلة على رأسها شعر معها بآلام حادة فى ظهره، ولكنه عاد لوضعيته السابقة.

استيقظت من حركة لا إرادية فى قدميه تصاحب آلام الظهر.

- "أنا هاقوم يا حلمى اقعد جنبك على الكنبة".

تابعها بكل حواسه، ثم وضع فواصل داخل دفتر الملاحظات، وكتب على الفاصل الأول القلب والثانى العقل والثالث الروح، ثم أمسك الملف الأخير واحتار فى اختيار عنوان له، فتركه بلا عنوان.

نظر حلمى الى حبيبة وقال بصوت خافت

كل علاقة كانت مبنية على سبب، الأولى مبنية على حب القلب، والثانية كانت مبنية على حب عقل، أما الثالثة فكانت زيجة مرتبطة بحب الروح، أما الأخيرة فأنا لا أجد لها توصيف كانت علاقة مبنية على حاجات مختلفة، كل واحد منهما كان منتظر نتيجة واحدة من هذه العلاقة.

ترك حلمى القلم وعلامات الرضا تعلو وجهه وهو ينظر أمامه ويبتسم، ثم أكمل فى الملف الأخير الذى لم يجد له وصف وهو يبتسم.

الملاحظة الأولى الملف الرابع: "لما جت لى أول مرة كانت هادية جدًا وأفكارها

مرتبة بشكل مرعب، صريحة جدًا مع نفسها، خلتنى للحظات حاسس بالعجز قدامها، سألت نفسى كثير ودى أنا أساعدها أزاى؟ السؤال ده فضل معايا طوال اللقاء الأول، وهى بتحكى لى قالت لى إحنا ماعندناش مشكلة واحدة، مافيش مشاكل لدرجة إن حتى مافيش نقاش على أى حاجة، كان الحل الوحيد اللى قدامى وقتها إنى اقول لها تطلق لأنى فعلًا مش عارف أقول لها ايه وكنت رافض فكرة الطلاق».

الملاحظة الثانية الملف الرابع: «هو بقى لما جالى أول حاجة قالها إنه مش بيعترف بالناس اللى زى حالاتى وإن أحنا ناس فاضية، بس جاى تقريبا عشان وعد مراته، هو كمان كان صريح مع نفسه لدرجة إنه عارف أن عنده مشكلة بس مش معترف بطرق حلها وده كان كويس».

الملاحظة الثالثة الملف الرابع: «لما سألتهم ايه اللى ممكن يسعدكم؟ كانت إجابتها إنها محتاجة تطلق وهو قالى أنا مش عايز أطلق أنا عايز واحدة جديدة فى حياتى يمكن تحسنها».

نظرت حبيبة إلى حلمى وهى تتثاءب.

- «ايه موضوع الملف الرابع ده؟»

- «حياتهم كانت مثالية جدًا، تعرفى يا حبيبة الحياة المثالية دى هى أفشل علاقة ممكن تحصل وفشلها بيعدى الخيانة».

ترك حلمى القلم وتابع دقات بندول الساعة.

٢

النفسية السوداء

"خسرت إيه؟"

ديانا حداد

ألبوم جرح الحبيب - ٢٠٠٠

ويبقى الانتصار فى معركة الحب هزيمة.

– «فى واجب لازم يتعمل بس ممكن ندردش فيه شوية الأول».

– «واجب! حاضر».

– «تقدرى تعترفى بأسوأ صفاتك مع جوزك».

– «طبعًا».

– «هى ايه؟»

– «أنا بتوتر بسرعة جدًا».

اعتدل حلمى وهز رأسه فهو يعلم أن الإجابة الأولى خاطئة دائمًا.

– «لا مش بسأل عن نقاط ضعفك، أنا بسأل ايه هى أسوأ صفاتك؟»

كعادتهم بعد هذا السؤال، فترة انتظار قد تطول إلى اللقاء التالى.

– «يمكن اكون جوايا غل».

– «لا برده».

– «أنا مش فاهمة».

– «فى وقت الخناق بتكونى عاملة ازاى؟ يعنى بتكونى سلبية ولا بتتهمى جوزك؟ ايه اللى بتستخدميه فى الدفاع عن نفسك؟»

- «مش عارفة».

- «هو حضرتك بتيجى هنا ليه؟»

- «عشان عايزة اعيش مبسوطة».

- «تمام، يبقى لازم تفكرى فى صفاتك السيئة مع جوزك اللى بتستخدميها فى أوقات الدفاع عن نفسك، أنا محتاج إجابة».

- «مش عارفة».

- «فكرى كويس فى اللى أنا باقوله ونكمل المرة اللى جاية».

ردود أفعال ثابتة إما الصمت أو دهشة.

****

انتصف اليوم الدراسى وأعلنت عقارب الساعة عن الثانية عشر ظهرًا، الفسحة هى المتنفس من رتابة الحصص المتتالية، من ضغط بلا قيمة ولكن من المرات القليلة التى تترك هبة الفسحة لتجلس فى الركن الأخير من الفصل، تحاول جاهدة أن تسيطر على دموع فى عينيها، ظلت طوال ليلتها مستيقظة تتألم وتعاتب نفسها، اكتمل هذا المشهد الكئيب مع تلك المروحة التى تدور على أبطأ درجاتها، لتقطع خيوط شمس بالكاد هربت من الستائر المعلقة بطول شبابيك الفصل، لتضفى لونًا يميل إلى اللون البنى أخفى تفاصيل لوحات الإيضاح المعلقة خلفها، تتوسط الحائط لوحة شرف تضم صور للطلاب المثاليين على مدار الشهور، تحتفظ مها بمكان دائم لها فى هذه اللوحة، أخرجت بعض الصور من حافظة نقودها وبدأت فى تمزيقهم ليزداد الوضع سوء،

هبة و ياسمين لهما علاقات عاطفية متعددة ولكن لم تصل إحداهن قط إلى هذه المرحلة من الانهيار.

- «فى أيه أنت بتعملى كده ليه؟»

لم تبد هبة اهتمامًا كبيرًا بما تقوله غادة وعادت إلى البكاء،

- «أنا قلت مليون مرة مافيش حاجة اسمها ارتباط وصحوبية، أنت هبلة جدًا وطظ فيهم».

لم تكمل غادة كلامها فقد لاحظت مدى انهيار هبة فاحتضنتها وتركتها لتهدأ قليلًا.

غادة هى أكثرهن تحليلًا للمواقف، تستمتع وهى ترسم صورة كاملة لأى موقف لتبدى رأيها فيه، لها أحلامها وقناعاتها الخاصة منذ أن شُكلت رومانسيتها على فيلم «only you»، وأفلام كثيرة توالت على مدار سنوات مراهقتها، تعلم جيدًا أنها سوف تحظى يومًا بحب العمر، وأنها ستكون فى سعادة ابنة عمتها وهى تنظر إلى زوجها فى ليلة زفافهما، رغم أحلامها الرومانسية إلا أن جميعهن يؤكدن أنها أخر من سيتزوج، وكن دائمات الترديد: «يا بنتى مين هايتجوز واحدة معقدة قوى كده زيك!»

نظرت غادة مرة أخرى إلى هبة:

- «الفسحة قربت تخلص وأنت شكلك معيط».

- «أعمل ايه يعنى؟»

قالتها هبة بصوت متقطع وهى تحاول أن تلاحق أنفاسها المتسارعة وكلما

تذكرت هذا المشهد وهو يمسك بيدى صاحبته السابقة تزداد غضبًا.

- "قومى اغسلى وشك بلاش هبل بقى".

- "أنت مش فاهمة حاجة سيبينى".

وضعت رأسها على "الديسك" وهى تردد بصوت منخفض: "سيبينى بقى مش هاتفهمى"، وهى لا تعلم كم الآلام التى سببتها تلك الجملة لغادة، نظرت غادة إلى هبة وهى تبكى ولسان حالها يقول: "يا ريت يبقى لىّ صاحب كده ولما اعيط يصالحنى، نفسى احب واتحب زيك كده، نفسى أفهم".

لم تكن ياسمين ومها قد لاحظتا بعد اختفاء هبة وغادة، ياسمين هى الساعد الأيمن لهبة، وهبة هى ساعد ياسمين الأيسر، لا يختلفان أبدًا على فعل كل ما هو غير تقليدى أو اعتيادى، لا يعنيهما كثيرًا العادات ولا تضعان حدًا لأفعالهما، ياسمين أكثرهن تحررًا أو كما كانت تلقبها غادة أكثرهن شعورًا بالحر، هى لا ترتدى سوى القميص المدرسى بأفتح ألوانه وبادى بالكاد يخفى ملتقى النهدين، دائمًا ما كانت تمر غادة بيديها على حدود حامل صدرها لتؤكد لها أنها تراه بشكل واضح، وكانت ياسمين لا ترد سوى بابتسامة ثقة، ياسمين مقتنعة إنه جسدها وعليها أن تستمتع به بالصورة المثلى، بمجرد أن لاحظت مها وياسمين اختفاء هبة وغادة اتجهتا مسرعتين إلى الفصل، وبمجرد أن رأت مها انهيار هبة أدركت أن عليها استخدام إحدى أسلحتها لتخفيف حدة الموقف.

- "هو خلى بيكى يا مسكينة!"

إجادة مها للتلاعب بصوتها جعلهن يضحكن حين أدركن أنها تقلد صوت مشرفة الدور الأكثر رعبًا، استمرت فى إتقان دورها وهى تحرك رأسها يمينًا ويسارًا تمامًا كالمشرفة.

- «والله ما هو فالح أبدًا، حد يسيب القمر ده!»

تطبع مها قبلة على خدها وغادة تنظر إليها وعلامات الاستغراب قد تحكمت بملامحها، أخيرًا ابتسمت هبة ومرة أخرى تتساءل: «هو أنا ليه ماعرفتش اضحكها زى مها؟»

على الرغم من الابتسامة لاحظت ياسمين شىء غريب فى ابتسامة هبة، مالت عليها وبصوت خافت:

- «هو أنت بتحبيه بجد؟»

تهتم ياسمين إلا تتمادى هبة فى علاقتها رغم أن ياسمين تتمادى لما هو أبعد.

***

أعتدل حلمى فى جلسته وهو ينظر إليه

- «دكتور حلمى عندى مشكلة مش عارف ليها علاقة بموضوعنا ولا لأ؟»

- «كل مشاعرنا مرتبطة ببعضها».

- «لا ما هى دى مش مشاعر دى مشكلة».

- «المشاكل بتأثر فى مشاعرنا، مين قال أن المشاعر حب وكره بس؟»

- «أنا مش بعرف أكمل أى حاجة للأخر، بمجرد إنى أبدأ فيها بكون كلى حماسة، بس بعد شوية صغيرين بأزهق وماكملهاش».

- «كل مشكلة لينا جواها بداية، عايزك تحكى لى كل حاجة فى حياتك تقدر

تفتكرها بدأتها وما كملتهاش».

فى جلسة دامت قرابة الساعتين أخذ يتذكر مواقف كثيرة إلا إنه استوقفنى إصراره على اعتراضى فى اللحظة التى ربطت بين مشكلته وبين حبيبته الأولى التى تخلى عنها.

***

جلس مترددًا داخل إحدى قاعات البلياردو والتى تبعد قليلًا عن مدرستهم، وهو يأخذ أول نفس من سيجارة بتوجيهات من عماد.

- «لا مش كده يا شريف، كده أنت بتنفخ، خد النفس لجوه».

كمدرب فى صالة رياضية يصف الطريقة الصحيحة لأخذ الشهيق، استمر عماد فى شرح الطريقة المثلى للتدخين، بدأ شريف فى سحب نفس آخر بالطريقة التى وصفها عماد حين بدأت رأسه بالدوران، ومع النفس الثالث أغمض عينيه وجلس وتركها من يده، شريف أضعفهم شخصية من عائلة متوسطة فى المستوى الاجتماعى والمادى ويغلب عليها طابع التدين، تمسك شريف بالالتزام بالصلاة فى حين انقطع عنها ثلاثتهم، ولكن من حين إلى أخر كان يحاول أن يجاريهم فيما يفعلون و لكنه يفشل، تزداد الفجوة بين اهتماماتهم ولكنه ظل متمسكًا بصداقتهم لأنهم اختياره الوحيد الذى اختاره دون تدخل إحدى والديه.

صالة البلياردو هى مكانهم الثانوى للتجمع، بدروم داخل إحدى العمارات المتهالكة فى حارة صغيرة قريبة من مدرستهم، بقليل من المجهود والمال تحولت إلى صالة للألعاب الرياضية، كما يفضل صاحبها أن يطلق عليها، ثلاث طاولات للبلياردو ومثيلاتهم لتنس الطاولة، بالكاد يصل ارتفاع

السقف إلى مترين، كان فى الماضى أبيض اللون ولكن دوائر صغيرة سوداء من الطباشير المستخدم فى البلياردو قد أضافت بقع سوداء إلى سقف الصالة، أما جوانب الصالة فتميل إلى اللون الأصفر فقد استقر عليها دخان السجائر فلا مفر له أو مخرج.

بدأ الجميع فى الضحك عندما جلس شريف إثر الدوار الناتج عن دخان السيجارة الأولى، اتجه إليه وائل قائلًا:

- "يا ابنى مش قد حاجة بتعملها ليه؟"

وائل الطفل المدلل لأسرة مكونة من ستة أفراد أب وأم وثلاث من البنات رغم هذا الدلال، ولكنه متأثر سلبًا بسيطرة والده لا يقوى على اتخاذ قرار، وظل حبيس التردد لفترات طويلة، يعلمون بمدى الضغط الواقع عليه من شدة تقاربهم ودائمًا ما يسوقون مبررات لوالده ليتركه يخرج معهم ليلًا أو يسافر فى إحدى الرحلات المدرسية، رغم هذا التأثير السلبى ولكنه كان أخفهم ظلًا وأطيبهم قلبًا، خفة ظله كانت ميراث تركته له والدته قبل رحيلها عن عالمنا، اللحظة التى سيطر على والده هاجس الخوف عليه والذى تحول مع الوقت إلى سيطرة أفقدته كثيرًا من شخصيته.

فى هذه الأثناء كان خالد يستعد إلى دورة فقد بقيت له كرتان حتى يحين دور السوداء، أصدر خالد صوتًا عميقًا من أنفه وهو يضحك:

- "الله يحرقك يا عماد، الواد فرفر".

لم يكسر صوت الضحكات سوى صوت ثلاث طلقات متتالية أطلقها خالد معلنًا فوزه وانتصاره فى الرهان على عماد، بثقة مبالغ فيها نظر إلى عماد وقال:

- «ادفع يا حيلتها».

التحدى هو الطابع السائد بين عماد وخالد، عماد يخوض كل تجاربه بعشوائية على غير عادة خالد يخوض نفس التجارب، ولكن كل خطوة لها حساباتها ولذلك خالد دائم الانتصار.

كانت الساعة الثانية عشر والنصف وبقى ساعتان على انتهاء اليوم الدراسى، سؤال طرحه شريف وهو ممسك بسيجارته الثانية:

- «على القهوة ولعبنا بلياردو ولسه ساعتين، هانعمل ايه يا عم عماد؟ مش أنت صاحب فكرة الزوغان؟»

نظر عماد إليهم وهو يبتسم:

- «حد يحب يروح عند البت أميمة؟»

صمت للحظات، شريف يفكر فى حرمانية الزنا وإن كان يتمنى أن يخوض تلك المتعة التى لا يتذوقها إلا وهو يمارس عادته السرية، وائل يفكر فى والده إذا ما تأخر عن موعد عودته والضغط الذى قد يقع فيه رغم إنه لا يمانع على الإطلاق أن يذهب مرة أخرى إلى أميمة، أما خالد فهو رافض للفكرة من بدايتها، لأنه لا يستطيع أن يرى أحدًا يشاركه فى امرأة رغم خوضه بعض العلاقات العابرة، التى لا يعترف بها سوى لشريف ولا يعترف بحبه الوحيد إلا لنفسه.

- « أنا هاروح».

فى الخلفية كانت أغنية عمرو دياب الجديدة: «ولسه بتحبه يا قلبى، يا قلبى حرام عليك».

***

الوقت الأطول فى يوم حلمى يمُر بين أوراقه ودفتر ملاحظاته وهو يحاول أن يسترجع علاقتهم.

- «هو كل الولاد أفكارهم جنسية؟»

- «الغالبية العظمى يا حبيبة».

- «ليه؟»

- «عشان فاكرين إن الجنس عيب».

- «وهو عيب!»

- لا

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

قبل زفافهما أدركا أن غرفة المعيشة هى أكثر غرفة سوف تجمعهما فحظيت باهتمام مضاعف، كانت أصابعهم تغار من حالة العشق التى وصلا إليها، فكانت تتشابك دون قصد لتملأ الفراغات بينهم ليتحد الجسدين فى جسد واحد، على الأريكة التى اختاراها بروحيهما ارتسمت ابتسامة على كل جزء من جسدها وهى تتحدث:

- «أخيرًا أنا مش مصدقة».

– "عشان تعرفى بحبك قد ايه، قلت لك هاعمل المستحيل عشان السنة دى ماتعديش غير واحنا مع بعض".

من اليوم الأول لاستلام شقتهما قررا سويًا أنها الغرفة الأنسب لتكون غرفة المعيشة، وكان قرار قاطع منه أنها هى من ستختار كل تفاصيلها دون التدخل من أى طرف فى العائلتين حتى ولو من باب النصيحة، بدورها اشترطت إنه لا بد أن تشعر برضاه على اختياراتها، كان أصعب قرارات تلك الفترة هو اختيار اللون إما الأبيض أو " Orchid "، أفتح درجات البنفسج، كان القرار سريعًا سيكون اللون الأساسى للغرفة الأبيض ولون إحدى الحوائط الرئيسية هو البنفسج، غرفتهم كانت مختلفة ورفضا أن يكون فى الغرفة كرسى منفرد، أريكة بالكاد تكفى إلى ثلاث اشخاص فوقها زين الحائط بنفس اللوحات التى تزين "سوا" على اليسار، وتحت الشباك صمم هو ركنة على الطراز العربى، ما دامت الأريكة صغيرة فكان لا بد من مساحة إذا قررا الاستمتاع ببعضهما هى كانت نيته التى لم يعلن عنها وقتها، أمام الأريكة تلفاز يتوسط الحائط، كانت الغرفة بسيطة وعميقة كحبهم.

بعد سنوات من زواجهم يمر يوم آخر شبيهًا باليوم السابق ومماثلًا لليوم القادم، يجلسان سويًا فى نفس الغرفة، جلس هو على أقصى اليسار ممسكًا بالهاتف الجوال يتصفح مواقع التواصل الاجتماعى أو يخوض دردشة سريعة، هى تجلس فى أقصى اليمين ممسكةً بفنجان قهوة تشاهد إحدى مسلسلاتها المملة على حد تعبيره، رأسها تصرخ فى احتياج إلى سيجارة سريعة ولكنه دائم الرفض أن تدخن أمامه، حين قطعت هذا السكون:

– "شفاط المطبخ عايز يتغير".

- «حاضر».

- «ايوه، يعنى امتى؟»

- «ما قلت حاضر».

- «أنت مش بتدخل المطبخ قدى وأنا محتاجة الشفاط».

- «يعنى أنت اللى بتدخليه؟»

- «قصدك إنى مش بعمل حاجة؟»

- «لا مش قصدى وحاضر والله حاضر والمصحف حاضر هاغيره».

دائمة الاستعداد لأى معركة تحشد أسلحتها مبكراً للهجوم وبغضب:

- «نفس الحاضر زى أى حاجة بقت فى حياتنا، أنت مبسوط وبتخرج وعايش حياتك وأنا اولع، أنت بقيت أنانى جدًا عمرك ما كنت كده فى ايه؟ والله لو اعرف أن الحال هيوصل لكده عمرى ما كنت حبيتك».

لم يكن رده يوازى غضبها غضبًا ولكن كان يوازيه استفزازًا.

- «أنا على فكرة قلت حاضر».

- «ما هو حاضر من غير ما تعمل حاجة، على طول تجاهل ولا مبالاة مع إنك ماكنتش كده لما كنت هتموت على ولا نسيت؟»

لم تصمت عند هذا الحد ولكنها استمرت فى الهجوم وبدأت فى مصارحته باستيائها من الحياة معه بكل صفاته، هى التى وافقت على تلك الصفات من

قبل، من تغيَّر هى أم هو! أم فقط أسوأ ما فينا يتحكم.

– «أنت على طول فى الشغل ومش عايش معايا، شغلك لنفسك إنما أنا فين؟ مافيش أمل خلاص أنا تعبت».

الآن حان وقت الهروب هكذا يحدث نفسه هل يخشى المواجهة أم يخشى أن يظهر جانبه الأضعف، أصبح يبحث عن راحته فقط هو أيضًا أسوأ ما فيه يتحكم:

– «تمام قوى أنا مش هاخلص، اهتمام ولا مبالاة عشان شفاط! ايه يا جدعان الجنان ده!»

قالها واتجه إلى الباب وتركها فى قمة غضبها وهو فى قمة انتصار زائف وترك المنزل ورحل.

***

(دفتر الملاحظات - العقل)

المرور على منزله أصبح عادة شبه أسبوعية، لم تعد تشتاق للحديث معه فقط، تريد أن تراه ولو مرة أخيرة، لم تره منذ أخر لقاء جمع بينهما عندما قررت الزواج من شخص آخر، كانت دائمة البحث عن مبررات لرفضه، كانت دائمة اللوم على إنه غير طموح وشخصيته ضعيفة أو إنه لا يحبها مبررات كثيرة وضعتها لتهرب، تقف بعيدًا عن منزله لمسافة تستطيع بها أن تراه ولكن لم يحالفها الحظ ولو لمرة.

– «الو أنا قدام البيت، ما تتصل كده تسأله هيرجع إمتى؟»

– «أنت عارفة اللى بتعمليه ده اسمه ايه؟ أنا وأنت أصحاب ماشى بس كده غلط».

صوت محرك السيارة ارتفع فجأه وكأنه يعترض على ما تقول.

– «أنا مش عارفة أنا بكلمك ليه أساسًا، أنا هاروح».

أصبحت دائمة الشعور بالوحدة ولا تملك الطاقة للتغيير أصبحت بلا هدف، زوجها الآن دائم البحث عن مبررات لرفضها، وبمجرد عودتها اندلع شجار بينهما.

– «أنت أسلوب كلامك بقى صعب جدًا غير إنك مش بترد».

لم يترك الهاتف من يديه ولم ينظر حتى إليها.

– «ماله أسلوب كلامى مش عاجبِك ٩٩فى ايه؟»

– «لا ولا حاجة».

– «لا قولى، معاليكِ ايه اللى مش عاجبك؟»

شجار ليس وليد اللحظة ولكنه نتيجة ما حدث يوم أمس، خلاف متكرر ومعتاد بعد كل لقاء يجمعه بعائلتها، جلس الجميع على المائدة وقت الغداء جلست هى بجانبه، وبدا أن الجميع يتحدثون بصورة طبيعية إلا هى كلما أراد أن يبدى رأيه تتدخل لتوقفه أو تغير مسار الحديث، تعلم جيدًا أن هناك خلاف خفى بينه ووالدتها وكانت تحاول إلا يحدث صدام ليس خوفًا عليه ولكن حفاظًا على شكلها.

– «امبارح واحنا راجعين فاكر كلمتنى ازاى؟»

– «لا ما هو أنت مش واخدة بالك من التناكة بتاعتك، أنا مش شغال عندِك».

– «أنا كنت باتكلم عادى».

طريقتها التى يرفضها الآن هى الطريقة التى جذبته هو شخصيًا، لم يعد يرى الصورة بوضوح، بدأ فى تحريك يديه بعنف أمامها.

– «أنت مالكيش أى ثلاثين لازمة، ده أنا ادوسك بالجزمة».

تركها وذهب لينام بمفرده، إنه الشهر الخامس دون أن يجمعهم سرير واحد، حتى بدأت تفتر منه وترفض داخليًا التفكير فى العلاقة الحميمة معه وإن كانت تشتاق إلى أى علاقة حميمة أخرى.

قبل أن تنام أرسلت رسالة أخرى إلى صديقها.

– «اهو شتمنى ودخل ينام لوحده».

ليلة أخرى تمر عليها دون أن تحاول التغيير، تتلذذ بسلبيتها أمامه، ثم تعود لتحلم بشخص أخر وتتمنى لو أنها لم ترفضه، هو وضع رأسه لينام وقبل أن يغمض عينيه تذكرها وكاد قلبه يشتعل شوقًا، أصبح انتصاره فى أن يشعر بأنها لا تنعم بسلام داخلى، وأصبح انتصارها فى أن تنجح أن تلعب دور الضحية.

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

– «هى مش بترد ليه؟ لما اكلمها ترد، إديها التليفون».

صب غضبه على والدتها ولتتجنب مشكلة أخرى أخذت الهاتف منها.

- «أيوه».

- «مش بتردى ليه لما باكلمك؟»

- «احنا متخانقين ولما نكون فى الحالة دى أنا مش بحب أتكلم، وماما تكلمها بأسلوب أحسن من كده».

- «لا ما هو أنت لازم تقولى مالك؟ وماما أنا هاعتذر لها».

- «للمرة المليون أنا مش عايزة أتكلم، من فضلك أرحمنى».

حتى عندما يختلفا تفضل أن يختلفا بطريقتها، أصبحت مثاليتها عبئًا عليه.

- «لا هنتكلم وهاتقولى لى فى ايه دلوقت؟»

- «أنا قلت كثير ومش عايزة اتكلم بقى».

إصراره على مناقشة وضعهما الآن فكرة خاطئة.

- «طب هاعدى عليكى نخرج».

- «أنت مش واخد بالك إنى فعلًا مش طايقة نفسى، أرجوك بقى يا أخى».

تظن إنه تزوجها لأن شخصيتها مختلفة عن شخصية والدته، ولكن كم هى مخطئة هو تزوجها لأنه يشعر معها بأمومة افتقدها.

- «أنت فظيعة عمرك ما هاتتغيرى، أنت مش حاسة بنفسك عاملة ازاى؟»

بمجرد أن تشعر بارتفاع نبرة صوته واقتراب لحظة انهياره تغلق الخط، ولكنه لا يكل من المحاولة أو ربما الإلحاح، لا تمضى ساعة إلا ويرسل لها رسالة جديدة.

- «أنا آسف، ممكن نتكلم لما تهدى؟»

هى قد ملت من إلحاحه وهو قد مل من مثاليتها.

***

(دفتر الملاحظات - الملف الرابع)

«أنجوى» هو اسم كلبتهما، أخذت ملامحها تتأثر بالجو المحيط بها، وزنها زائد بشكل ملحوظ، كلما نظرت إلى عينيها تشعر بالنعاس، رغم عشقهما لكلبتهما إلا أنهما توقفا عن المحاولات فى تغييرها مثلما فشلوا فى المحاولات الدائمة للخروج من أزمة اللا أزمة.

- «بقولِك تيجى نطلع الأقصر؟»

لم يعد هناك فارق بين الأقصر وغيرها، هكذا حدثت نفسها قبل أن تجيب:

- «مافيش مشكلة نروح».

لا أظن أنها ستبدى رأيًا مطلقًا فى أى شىء، أتمنى أن تصارحنى برأيها ولو مرة.

- «طب لو عايزة مكان تانى نشوف؟»

«مكان تانى يعنى هاتفرق!»

- «لا يا حبيبى نروح الأقصر، تغيير برده».

***

نظر حلمى إلى حبيبة وهى تقاوم النوم.

- «عايزة تنامى؟»

- «لا كمل يا حلمى، عايز افهم مين دول، واياك تكون حد فيهم ولا كنت بتحب واحدة منهم».

نظر إلى جسدها وهو يتمدد على الأريكة، وابتسم: «لا أنا مش واحد فيهم»، ثم اخرج دفتر ملاحظاته وأمسك قلمه وعاد للكتابة،

«السعادة مش حلم هى واقع بس زى أى واقع فى الدنيا محتاج مجهود ومجهود كبير، محتاجة إنك تتعب، مافيش قاعدة ثابتة للسعادة، مافيش خطوات تقدر تطبقها بين الناس عشان يعيشوا مبسوطين، السعادة بين أى اثنين عاملة زى الـDNA مالهاش شبه، لازم يتعبوا عشان يلاقوا DNA بتاعهم، لكن أصبح النكد، الهجوم دون مبرر، الانهزامية، الإلحاح، السلبية، ادعاء المثالية، صفات تعيش داخلنا تسيطر على علاقاتنا تزداد معها الفجوة، نتساهل فى استخدامها دون أن نبذل مجهود فى أن نسترد علاقاتنا، يستمتع الجميع بدور الضحية ونستمر فى فقدان علاقاتنا إلى أن نصل إلى حافة الانهيار، ثم نلقى اللوم على شريك حياتنا».

أدركت الآن أن لكل منا صفة نستخدمها عند الدفاع عن أنفسنا، صفة نرفض الاعتراف أنها تتحكم فينا، تسيطر على حياتنا، تحولنا إلى صراع هدفه الانتصار، ولكننا تناسينا عن عمد أن علاقاتنا ليست صراع وأن الانتصار

فيها هزيمة.

قاومت حبيبة النوم وتوجهت إلى حلمى بالسؤال:

- «كل ده سواد جواهم؟»

- «ما هو مش كل الناس حلمى».

ضحكت باستنكار:

- «ولا كل الناس حبيبة».

(٣)

الحب

"يا حبيبى لا"

عمرو دياب

ألبوم أكتر واحد – ٢٠٠١

علينا أن نُحب بالطريقة التى يفضلها من نحب.

وضعت قدم على أخر وعلامات الحيرة على وجهها وهى تنظر إلى حلمى

- «هو بيحبِك؟»

- «ماعرفش».

- «أنت بتحبيه؟»

- «جدًا والله».

- «بتحبيه ازاى؟»

- «يعنى ايه بحبه ازاى؟ بحبه يعنى بحبه، وبحبه قوى كمان».

وقف حلمى ونظر من النافذة ثم عاود السؤال مرة أخرى:

- «طيب السؤال بطريقة تانية، تعرفى توصفى الحب ده؟»

- «ايه بقى هو كله وصف، مرة أوصف الغضب ومرة الحب؟»

- «ما هو احنا لو معرفناش نوصف مشاعرنا يبقى عمرنا ما هنخلى شريكنا يحس بيها، إذا كنتِ نفسك مش فهماها هتعرفى توصليها إزاى؟»

- «يعنى قصدك إنى مش فاهمة مشاعرى؟»

- «حاجات كثيرة فى حياتنا شفناها كده اتعلمناها زى ما هى من ضمنها الحب،

بنقلد اللى حوالينا فيها بس عمرنا ما عرفنا ازاى نحب؟»

– «الحب يا دكتور مش حاجة نتعلمها، الحب حاجة بنحسها».

– «لا، اللى بنحسه فى الأول ده اسمه إعجاب أو شوية مشاعر زيادة أو يمكن يكون استلطاف، لكن الحب ده خطوة واحدة فى العلاقة وعشان ناخد الخطوة الثانية محتاجين مجهود كبير، أنت بقى ايه المجهود إلى بتبذليه عشان الحب ده؟»

عادت بظهرها ووضعت قدم فوق الأخرى.

– «إنى مستحملاه بكل اللى بيعمله».

– «لو الحب كده يبقى بلاش منه احسن».

– «تفتكر أنا هنا ليه يا دكتور حلمى؟»

– «لا ده سؤال أنت بس اللى تجاوبى عليه».

– «أنا هنا عشان عايزه احبه ويحبنى من تانى».

– «يبقى تعملى حاجة واحدة».

– «هاعملها».

– «لازم تحبى بالطريقة اللى بيحبها جوزك».

– «يعنى إيه؟»

– «يعنى ماينفعش تكابرى وتحسسى جوزك إنك بتتفضلى عليه بالحب ده».

قالها ثم أشار إلى لوحة على الحائط مكتوب عليها: «علينا أن نُحب بالطريقة التى يفضلها من نحب».

أنهى دائمًا اللقاء عند هذه الجملة فوحدها تحتاج مجهود أسابيع لاستيعابها فما بالك بالتنفيذ.

***

انتظرت ياسمين حتى خرجت مها وغادة من الفصل وامتزج توترها مع دوران مروحة السقف.

– «فى ايه يا هبة مش كده ايه اللى حصل؟»

نظرت إليها وهى تمسح دموعها.

– «تخيلى إمبارح شفته ماشى مع صاحبته الأولانية».

– «طب يا بنتى مش أنت اللى سايباه، طظ فيه وصاحبى واحد أحلى منه، ده أنت كله نفسه يصاحبك».

– «ازاى يعنى أنت هبلة؟ أكيد هايقولوا أن هو اللى سابنى وراح لصاحبته القديمة، أنا اتقارن بدى».

– «هو أنت بتحبيه؟»

ضمت هبة شفتيها فى محاولة لإخفاء ابتسامة رغم دموعها.

– «اه يا ياسمين بحبه وأنا غيرته وكله عارف كده، فاكرة هو كان إزاى وبقى ايه؟ أنا أعمل فيه كل ده ولما نتخانق خناقة يروح للبت المعفنة دى، يا ياسمين

أنت مش متخيلة والله منظرها فظيعة جدًا، تلاقيها دلوقتى طايرة من الفرح».

– «ماتزعليش نفسك أنا عارفة وأنت عارفة إنك هاتجبيه تانى».

لم تكن غادة أسعد حالًا من هبة، ولكنها لا تملك القدرة على التعبير، تشعر بالغيرة من هبة وياسمين ليس كرهًا أو حقدًا، لكنها تتمنى فقط أن تجد شاب يهتم بها وتشعر معه بمشاعر تبذل قصارى جهدها فى كبتها، ولكن على الرغم من أمنيتها فإنها لا تمتلك الجرأة لخوض تجربة عاطفية وتختفى وراء ستائر رومانسيتها وأنها ستجد يومًا شريك حياة تحبه قبل الزواج، خوفها من أخيها وحده يكفى أن تطرد الفكرة من رأسها، لا ملجأ لها إلا مها.

– «هو أنا وحشة قوى يا مها؟»

حركت مها فكها يمينًا ويسارًا، فهى تعلم جيدًا إنه فاصل جديد من فواصل غادة فى الكآبة.

– «ابتدينا يا عسلية، فى ايه؟»

– «هو أنا أخر واحدة هاتجوز فيكم، وهاعنس أنا خايفة إنى ملاقيش حد يحبنى».

رغم أنها لا تحب عندما تأخذها غادة إلى هذا المنحنى، ولكن مها لها بعد رومانسى مختلف وتتأثر سريعًا.

– «حصل ايه عشان تقولى كده؟»

– «أنت عارفة أنا بحب هبة وياسمين قد ايه، بس هما كل لما يروحوا فى مكان العين بتبقى عليهم وبيبقوا نجوم».

– «بصى يا غادة، أحنا أصحاب من زمان، بس ده لا يمنع أن فيه تصرفات مش عجبانى منهم، ومش موافقة عليها كمان، بس أنا ماقدرش امنعهم ومش هامنعهم، بس زى ما أنت عارفة أنا مش بعرفهم أول لما يكونوا واقفين مع أصحابهم الولاد، يبقى انهم الاثنين نجوم وسط الولاد مش حاجة تخلينا نغير، عشان هم غلط يا غادة».

– «أنا عايزة أكون حلوة، عايزة أكون بنوتة».

– «ماحدش يقدر يساعدك تكونى الشكل اللى أنت عايزاه غير نفسك ونفسك وبس".

– «يا مها أنا نفسى حد يجيب لى هدايا أو يعمل لى مفاجأة، حفلة مثلًا، أنا عايزة حد يحبنى».

شاركت مها غادة فى البكاء هى أيضًا داخلها أمنيات لا تعترف بها سوى بين طيات الليل قبل نومها، حاولت مها أن تسيطر على الموقف حين رأت ياسمين وهبة وعلامات السعادة على وجه ياسمين.

– «فى ايه فرحانة كده ليه؟»

– «تعالوا بسرعة عشان فيه كاسيت ورقص قبل الفسحة ما تخلص».

هى اللحظة التى تنتظرها ياسمين، اللحظة التى تتلقى فيها نظرات الإعجاب قبل حروفه وهى تتمايل وترقص باحترافية شديدة مستخدمة كل أجزاء جسدها، تعلم جيدًا أنها تمتلك مقومات لتكون النجمة فى هذه اللحظة.

***

وقف شريف داخل صالة البلياردو ابتلع ريقه وهو يحاول أن يجد مبرر لرفضه:

– «ده حرام يخرب بيتك».

نظر إليه عماد وهو يضغط على شفته السفلية بأسنانه محاولًا إظهار شهوته:

– «وأحنا بنعمل ايه حلال بس يا شيكو!»

– «لا روحوا أنتم أنا لا ماليش فيه».

– «وهو أنا أهبل أخدك معايا».

ابتسم شريف وأدرك سريعًا ما يشير إليه، المرة الأولى التى شاهد فيها صورة لامرأة عارية تمامًا كانت مع عماد، احمر وجهه وتوقف عن التنفس للحظات وكاد أن يخترق الصورة بعينيه، وتذكر عماد وهو يضحك و يقول: «أنت شرقت»، تتغير حالته النفسية سريعًا لأنه يدرك الفارق بينه وعماد، عاد سريعًا من شروده ووائل يقول:

– «والله يا خويا على عينى، يعنى يرضيك ابقى مستعجل عشان الحق اروح، وتيجى واحدة زى دى تقول على ضعيف».

نفخ خالد دخان سيجارته فى اتجاه وائل:

– «لا حوش وأنت جامد أوى».

– «ده أنت أكثر واحد عارف أنا جامد قد ايه يا خلود يا جميل».

ضحك جميعهم وبدا أن فكرة أميمة لم تلق أى استحسان سوى من عماد ووائل لكن وائل يخشى أن يمر الوقت عند أميمة ورجولته ستمنعه من أن يرحل

مبكرًا ويجلب على نفسه جحيم لا يقوى على صده.

على الرغم من أن عماد لا يكبح شهوته ولكنه يختلف فى علاقته عنهم، لا يقوى على العيش دون أميمة وفى نفس الوقت دون حبيبته، شخصيتان فى قلب رجل واحد، لا يستطيع أن يسيطر على شهوته ولا على قلبه، لديه "صاحبة" ارتبطا فى السنه الثانية من المرحلة الإعدادية، يعشقها بجنون وهى الوحيدة التى يفقد أمامها بلاغة لسانه، لديه علاقات كثيرة ما بين الصداقات وصولًا إلى العلاقات الجنسية الكاملة، ولكن تبقى حبيبته فى مكان خاص داخله، هو بلا شك أجرأهم فى التعامل مع الفتيات بمختلف أعمارهن ولكنه أفقرهم فى السيطرة على نفسه.

لم يبد خالد اهتمامًا بما قاله وائل سوى بابتسامة سخيفة،

قطع وائل الابتسامة:

- "بتتكسف يا خلود ولا ايه؟!"

قالها وأنهاها بقبلة هوائية فى اتجاهه.

خالد لا يتدخل فى مثل هذه الحوارات، هو أيضًا لديه علاقة عاطفية ولكنها مختلفة كاختلاف شخصيته عن عماد، هى حبه الصامت صمت هذا الحب يغنى فى وصفه عن الكثير من الكلمات، لا يرق قلبه إلا لحظة لقائه مع بنت عمه، على الرغم من قلة اللقاءات بينهما، ولكن لا يسمح لقلبه أن يخفق إلا بعدد تلك اللقاءات، يبذل قصارى جهده ليظهر بأحلى صورة ممكنة معها، تلتقى أيديهم بشكل مختلف، هو يتعمد أن تظل يدها فى يده لأطول فترة ممكنة، وهى تستمتع بسحب روحه مع يدها بعد السلام، يتنازل بدوره عن روحه بابتسامة بعينيه هى فقط التى تلاحظها، ينتهى السلام وهى تداعب الأرض

بعينيها خجلًا، لا يتعدى لقاء الأيدى سوى ثوانٍ معدودة، ولكنها كافية لشحن خزانات حبه للقاءٍ تالٍ ولو طال، من وجهة نظر أصدقائه هو عدو المرأة الأول، ولكن لو يعلموا مدى إخلاصه لنصبوه فى الحب إلهًا.

ظل وائل يرسل قبلات لخالد إلى أن ابتسم.

- «خلاص بقى فكك».

وائل هو صاحب البنات لقب أطلقه عماد عليه، خفة دمة أجبرتهن على الاقتراب منه، ولكنه يفشل فى الخطوة التالية فاقد الثقة فى نفسه، لديه شعور دائم بالرفض، يخشى إذا ما خطا خطوة أخرى أن يفقد كل ما امتلكه، جبن وائل هو ما يدفعه إلى البقاء فى مكانه يكفيه ما وصل إليه، لم يكره هذا الجبن إلا بعد سنوات حين علم أن الفتاة التى كانت تهتز لها مشاعره ويفقد مهارته فى استخدام خفة دمه أمامها كانت تحبه.

قطع شريف القبلات وقرر أن يظهر شخصيته:

- «أنا مش هاروح عند أميمة دى».

تربية شريف وضعته فى إطار معين للتعامل مع الفتيات، دافع التدين أو الخوف أو التربية هو نفسه لا يعلم أيهم كان سبب الرفض.

أخذ عماد سجائره ووضع نظارته الشمسية وتركهم إلى لقاء بعد أقل من ساعتين فى شقة خالد.

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

فى محاولة منها لاستعادة السعادة المفقودة، قررت أن يكون عيد زواجهما هذا العام مختلفًا، شرعت مبكرًا فى ترتيب حفل ضخم ورتبت مع أخوته وأصدقائه المقربين، بالإضافة لمجهود مضاعف بذلته فى إخفاء الترتيبات عنه، ولكن رغم كل هذا المجهود لم تر السعادة التى توقعتها فى عينيه ولم يبد اهتمامًا بأى شىء اللهم إلا بعض الابتسامات لمجاملة الحضور، تحولت تلك الابتسامات مع مرور الوقت إلى نظرات لوم، حاولت جاهدة أن تزيح تلك النظرات ولكنها فشلت، حاول هو أيضًا أن يحدثها عما يدور داخله ولكنه ابتعد.

هل نسيت أننى أكره المفاجآت، هل تحاول أن تظهر بدور الزوجة المثالية ألا يكفيها البعد الذى وصلنا إليه، نظرات التوتر بدأت تظهر على ملامحها، لا تدرك ما الذنب الذى اقترفته ليصيبها كم اللوم من عينيه، كم أبهرها هو شخصيًا طوال سنوات حبهم بالمفاجآت لماذا الآن يرفضها؟

- "كل سنة و أنت طيب يا حبيبى".

هذا ما قالته بعد أن رحل الجميع.

- "وأنت طيبة".

ثم طبع قبلة على رقبتها، حاول جاهدًا أن يتمسك باتزانه وحاولت هى أيضًا أن تحافظ على لحظة السعادة وإن كانت باهتة.

- "هو العيد ميلاد كان وحش؟ والله تعبت فيه عشان خاطرك".

- "لا حلو".

- "طب مالك؟"

كاد يخبرها أنها تعلم إنه لا يحب هذا النوع من المفاجآت، كاد أن يدمر كل شىء، ولكنه آثر الصمت والهرب، وانتهت الليلة دون أن يخبرها لو أنها فقط أرسلت له رسالة تخبره أنها تقدر وتعلم جيدًا المجهود الذى يبذله لاختلف الوضع تمامًا، باتت باكية وبات مهمومًا على ميلاد فائت جديد.

***

(دفتر الملاحظات - العقل)

ما فائدة كل شىء نملكه الآن ونحن لا نستمتع به سويًا، قبل زواجنا كنا لا نملك كل هذا ولكنه كان يستمتع معى ويشاركنى فى كل لحظات حياتى، لم تهرب منه تفصيلة ليجعلنى سعيدة، حتى عندما أخبرته عن عشقى لمدرستى القديمة رتب زيارة إلى هناك، كان يبقى جانبى ويستمتع بملامح وجهى، لقد فقدنا الكثير بعد زاوجنا وفقدت هذا الشعور الذى داعبنى كثيرًا.

– «هو أنت ليه بطلت موضوع السفر؟ تعالى نسافر سوا يمكن نفك».

– «وأحنا فينا ايه عشان نفك؟»

– «عيد جوازنا قرب وإحنا مافيناش ولا أى حاجة سليمة مع بعض».

صمت وسرح بخياله وهو يتساءل، إلى متى سأظل أعطى بلا مقابل، ألم يحن الوقت لأشعر ببعض الحب والاهتمام.

– «وأنت هاتصلحى أزاى؟ تعرفى إنك أساسًا مش بتقربى منى، يعنى لو سافرنا هيبقى مجهود وخلاص».

– «أقرب منك أزاى وأحنا متخانقين ده أنت أخر مرة ....».

- «ماتكمليش، أنا مش بقول ننام مع بعض، أنا بقول تقربي مني ونتكلم».

تركته وهى فى كامل دهشتها، كيف يريد أن أقترب منه وهو يهينني، إلى أى حد من الجنون وصل؟

حاول السيطرة على مشاعره وهو يفتح الحاسوب ويحاول أن ينسى ويشغل نفسه ببعض المهام فى عمله، ولكن احتياجه للحب جعله يتوقف وأخذ يتذكر كيف كانت لمساتها، وكيف كانت تقترب منه بكتفيها وكيف كانت تشعره إنه مرغوب، توقف عن العمل وفتح حساب الموقع الاجتماعى الخاص به وبدأ يكتب.

«هل حقًا يجب أن ننتظر إلى أن نجده، هل حقًا سنجده أم سنبقى منتظرين أن تغفر لنا السماء ما فقدناه، فيما تكمن حقيقة الحب! هل تكمن فى أننا فقط نشعر به أم أننا دون من نحب نشعر بالوحدة وإن كان لنا ألف من الأصدقاء».

هى أيضًا كانت تبحث عن شعور الحب المفقود.

- «ألو عشان خاطرى».

- «عايزة ايه يا ست العاقلين؟»

- «ممكن يوصل له إنى فعلًا ندمانة على اللى حصل، ممكن تقول له أنى أسفة جدًا، أنا تعبانة وعندى أحساس أن كل اللى أنا فيه ده عقاب».

- «قصدك إنى أوصل له ده؟»

- «يوووه».

- «لا مش هاوصل له حاجة عشان أنا مش حابب أشوفك خاينة، ومش حابب إنك تدورى على مشاعر نقصاكِ فى حد تانى غير جوزك، سلام».

- «أوف، سلام».

أنهت المكالمة وإن كانت قد حسمت قرارها أنها سوف تسعى إليه من جديد.

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

بعد أن هدأت العاصفة وكف هو عن الإلحاح ونسى مثاليتها توجه إليها.

- «تيجى نكتب كل واحد محتاج ايه من التانى عشان نحس بالسعادة؟»

كانت هذه المرة الأولى التى حاول فيها أن يخرج عن المألوف فى حل مشكلة بينهما.

- «فكرة هايلة وربنا يكرمنا إن شاء الله بس أعتقد هيكون فى صعوبة فى التنفيذ».

أخرج ورقتين وقلمين وهو يردد:

- «ربنا كريم».

بدأت هى سريعًا فى كتابة قائمتها:

١. «لو جعان ممكن تسخن الأكل وقبل ما تسأل هو فى أكل ولا لأ تفتح الثلاجة».

٢. «تعمل حسابى فى كل حاجة زى أنا ما بعمل حساب كل واحد فيكم».

٣. «ممكن تشيل الأطفال شوية من نفسك».

٤. «تاخد قرار فى اى حاجة تكون بتبسطنى وتعملها من غير ما تسألنى».

نظرت إليه وعلامات السعادة تملأ وجهها.

– «أنا خلصت».

– «أنت لحقتى؟»

– «أيوه أنا عارفة أنا عايزة ايه».

– «طيب أستنى».

سعادة داخلية تملكتها لكونها تعلم ما تريد، ودون وعى منها ارتكبت حماقة معهودة وضغطت عليه.

– «يلا بقى».

– «طب بصى أنا مش هاكمل كتابة أنا هاقول».

– «زى ما أنت عايز».

– «أنا بعمل لك حاجات كثير وأنت مش بتشكرينى عليها».

– «زى ايه؟»

– «بسيبك مثلا تخرجى مع صحباتك وأنا بقعد مع الأولاد».

– «لا استنى، أنت بتعمل كده لما أنا أطلب مش لوحدك ودى تفرق كثير».

مزقت قائمتها من الغضب لأن نفس الإحساس وصله من جديد، هى تظن أنها أفضل منه بكثير، والأهم أنها لم تعد تشعر معه بالأمان.

– «يعنى ايه؟!»

– «يعنى أنا نفسى تاخد أنت القرار ده لوحدك، حتى وأنا قاعدة معاك من غير ما أطلب منك، خد قرار».

انهار كل شىء حين أخذ يفكر فى مثاليتها الزائفة وأخذ الحوار طريقه المعهود.

***

كانت الساعة تشير إلى الثالثة فجرًا، نظر حلمى بين أوراقه وملفاته الأربعة، وأخذ يطرق بالقلم على أوراقه بإيقاع منتظم فى محاولة للعودة للكتابة، أغمض عينيه وهو يتذكر حبيبة صباح ذلك اليوم.

كان قد ترك لزوجته علبة صغيرة وضع فيها حلوى، وورقة كتب فيها «إليكِ يا من يأس الوصف فى وصف حبك».

– «تعرف يا حلمى على قد ما أنت بتعمل حاجات كثير غريبة، وأحيانًا بتعصبنى بس والله العظيم جوايا ليك رصيد مفتوح، ممكن تعمل اللى أنت عايزه، وأنا هافضل مسامحاك طول عمرى، أنا كل يوم عشته معاك كان حبى ليك بيزيد، كل وردة جبتها لى كانت بتشبعنى حب».

– «ايه ده كل ده عشان شيكولاتة؟»

تركت الأريكة وجلست أمامه.

- «لا كل ده عشان أنت بتعرف تحبنى ازاى».

ابتسم وهو ينظر إلى بندول ساعته خجلًا:

- «أنت اللى علمتينى أحب».

- «طب سؤال بقى بعد وصلة الدلع دى، هو ازاى ملف العقل الراجل طلب من الست تقرب منه وهما على طول متخانقين».

- «عشان هو بيحب يتحب كده، تكون ديما جنبه تمسك ايديه تحضنه، أو حتى تلعب فى شعره، بس هى من اليوم الأول رفضت ده وكانت مستنياه يقرب».

- «كل الستات كده».

- «لا مش كل الستات وكل الستات مش زى بعض زى ما كل الرجالة مش زى بعض».

- «يعنى ايه؟»

- «يعنى احنا فضلنا نصنف الستات بيحبوا ايه والرجالة بيحبوا ايه مع اننا مش شبه بعض طب تعرفى».

وضعت كفها أسفل فكها ونظرت إلى عينيه:

- «ايه؟»

- «الراجل فى ملف العقل رومانسى جدًا والست عملية جدًا».

- "يعنى الآية مقلوبة؟"

- "لا طبعًا بس مافيش قواعد فى المشاعر أو فى الحب، بس ممكن تكون القاعدة الوحيدة إن الوقوع فى الحب مش اختيار، بس المحافظة عليه اختيار".

منذ سنوات أدرك حلمى أن لكل منا طريقتة لتقبل الحب وإن كان للحب ألف معنى.

(٤)

الاحتياج

«أجمل إحساس»

إليسا

ألبوم عايشة لك - ٢٠٠٢

إن الحب احتياج ولكن الاحتياج حياة.

وضع نظارته على مكتب حلمى ثم بدأ فى الحديث

- «أنا محتاج منها ايه!! لا مش عارف يمكن عايزها تبطل زن شوية؟»

- «طيب لو هو ده الموضوع اطلب منها تبطل زن».

- «أنا اطلب منها حاجة ! مستحيل، وبعدين أنت متخيل يعنى إنى هاقول لها ماتزنيش خلاص مش هتزن، ايه يا دكتور أنت مش عارفهم!»

- «لا عارفهم، عشان كده الطلب منهم مش بيكون كلام، لازم يكون فعل».

- «فعل!! قصدك اعمل لها حاجة مخصوص يعنى، لأ كده هتحس إنى ضعيف وأنا مش ضعيف».

- «أنت ليه خايف مراتك تشوفك ضعيف؟»

- «عشان أنا مش ضعيف».

- «أنا وأنت بس اللى بنتكلم فاتكلم براحتك».

- «أنا محتاج احس إنى راجل».

- «أنت ليه مش حاسس بده؟»

- «عشان هى دائمًا بتحسسنى إنى ماليش لازمة فى حياتها، وإنها هتكون أقوى لو أنا سيبتها، تعرف يا دكتور أحيانًا باسرح وبحس أن الستات فقدت جزء

كبير من أنوثتها لما قررت تلعب دور الراجل وتتعلم تبقى قوية لوحدها».

- «بعيدا عن الستات دلوقت أنت دورك ايه؟»

- «أنا راجل البيت».

- «تمام قل لى بقى دورك ايه فى البيت؟ ولا أنت فعلًا مالكش وجود فى البيت وهى كان لازم تتعلم تبقى قوية؟»

***

الآن تبدأ مرحلة مختلفة فى علاقتهن، لا يجتمعن بعد انتهاء اليوم الدراسى تختلف اهتماماتهن، مها لا تفضل الاختلاط بهبة وياسمين، أما غادة ترفض لأنها لا تمتلك من الآليات التى تجعل للاختلاط معنى، ظاهريًا هى ترفض الارتباط وإن كانت تموت شوقًا له، لدرجة أنها باتت تهاجم كل المرتبطين بحجة أنهم على خطأ، هى تستمتع بمحاولات أحد أبناء حيها للاقتراب منها، رفضها لا ينبع سوى من أنها تراه دون مستوى الفتيان الذين يرتبطون بياسمين وهبة.

انطلقت غادة وهى تمسك بذراع مها ومشاعرها تلتهب بحماسة من إعجاب الجميع برقص ياسمين.

- «ياسمين بترقص فظيعة أنا بحبها قوى».

لا تتخلى مها أبدًا عن حس الفكاهة وإن كانت تعلم إلى أين سيؤول حديث اليوم مع غادة.

- «أنا لو كنت راجل كنت حبيتها وش».

– «تعرفى يا مها، أنا والله مش باغير من هبة وياسمين خالص».

ها قد بدأ الحوار كما توقعته مها، وفى محاولة استباقية منها للحيلولة دون هذا الحوار، الذى لن تتحمله الآن حاولت تغيير الموضوع:

– «غادة سمعتى مغنى اسمه كاظم الساهر شريط اسمه أنا وليلى».

نجحت فى تحويل الحوار.

– «أنا سمعت الأغنية كثير جدًا وقعدت أعيط أكثر، هو ليه الحب ماينتصرش؟ هو احنا فعلًا ممكن نبيع نفسنا؟»

توقفت مها عن الاستماع عند هذه اللحظة، لا تبدو مها قوية كما يظنها الجميع، مها لديها يوميًا لحظات بكاء على حال أمها، التى اعتادت سماع بكائها على الذل الذى تتذوقه من والدها، نعم والد مها يهين والدتها وهذا سرها.

– «بقولك ايه يا غادة أنا هامشى من الناحية دى، عشان عايزة اروح عند خالتو الأول».

تركتها وهى تحول كل لحظة غضب داخلها إلى ابتسامة هكذا تنصحها والدتها، كانت اللحظة مختلفة تمامًا عند هبة وياسمين مشاعر مختلفة، هبة وقفت بجوار محل الكاسيت تترقب وصوله.

– «أنت جاى ليه دلوقتى؟»

تعلم أن جمالها وحده لن يؤثر فى مثل هذا الموقف، حين قررت استخدام أسلوب آخر وبدأت فى بكاء مصطنع ولكنه يقترب من الواقعية.

- «بتعيطى ليه دلوقتى؟ أنا جاى اعتذر اهو».

- «لا روح كمل مع صاحبتك، مش أنت كنت معاها امبارح؟»

- «والله قابلتها بالصدفة، وهى أصرت نتمشى عادى يعنى».

- «والصدفة دى تخليها لابسة اللبس ده والمكياج ده؟!»

لتستمر فى الضغط على مشاعره أدارت وجهها وبصوت امتزج ببكاء ليلتها السابقة:

- «على فكرة أنا زعلانة جدًا، وافتكر احنا لازم نسيب بعض».

أمسك أطراف أصابعها وهو يقترب من وجهها.

- «نسيب بعض ايه؟ أنا ممكن أموت لو ده حصل، أنا بحبك وأنت عارفة ومتأكدة من ده».

ابتعدت هبة إلى الخلف قليلًا، فرغم جرأتها لم تصل مطلقًا للاتصال البدنى بأى صورة من صوره، وإن كانت ياسمين فى الجهة المقابلة لمحل الشرائط فى وضعية مختلفة.

- «ياسمين يلا بينا».

استدارت ياسمين لهبة وهى تشير لها بالانتظار قليلًا، فقد بدأت طقوسها المعتادة فى التعامل مع صديقها الجديد، ممسكة بيديه مالت بكتفها ناحيته لتعطيه الإشارة اللازمة ليبدأ، هو لم يمانع بطبعه وضع يديه حول خصرها وجذبها حتى تلامس كتفيهما.

– «ابوس بقى ولا ايه؟»

– «لا مافيش وشيل ايديك».

– «طب شيليها أنت لو عايزة».

ضحكت وهى تضع يديها على فمها وهى تميل قليلًا إلى الأمام حين عاد قميصها لوضعه الطبيعى ليكشف الجانب البارز من خلف صَدريَتها، لتزداد الإثارة وهو يحاول أن يقترب منها أكثر.

– «بالراحة، مالك مش على بعضك ليه؟»

– «أنت هتموتينى قريب».

هنا تتدخل هبة عندما تلاحظ أن ياسمين بدأت فى الخروج عن السيطرة والموقف سيتحول.

– «ياسمين يلا حالًا».

أدركت ياسمين أن هبة لن تتركها حين مالت عليه.

– «مش هاخلص من هبة نتقابل بالليل عدى على بالعربية لو هتعرف تاخدها».

***

وقف عماد على باب صالة البلياردو

– «طيب يا جدعان أنا هاروح عند أميمة وهاجيلكم كمان ساعة كده عند خالد».

فكر وائل سريعًا هل لو ذهب مع عماد، هل ستكفى ساعة لهما معًا، أزاح الفكرة عن رأسه وهو يقول:

- «أنت عندك فيلم جديد ولا ايه يا خلود؟

- «اه عندى، بس أنا عندى مشوار مهم، لازم اعمله دلوقتى».

منذ فترة وهو يحاول أن يصارحها، يرى الآن أنها اللحظة المناسبة، عليه أن يخبرها أولًا ليبلغهم إنه فى علاقة حقيقية، وصل عند مدرستها قبل انتهاء اليوم الدراسى بدقائق، وانتظر أمام الباب و بمجرد أن رأته، كتمت أنفاسها وحدقت عيناها وهى تضع يديها على فمها وتتلفت، ثم مالت على زميلتها، نظرت زميلتها إلى خالد وابتسمت وتركتها وحيدة.

- «ازيك؟»

- «فى ايه يا خالد أنت جاى ليه؟»

- «أنت مش عايزانى اجى؟»

- «لا ماقصدش».

ابتسم وهو يضع أطراف يديه فى الجيوب الأمامية للجينز ويطرق الأرض بقدمه.

- «طب أنا هاجى بعد كده كثير».

- «مش فاهمة».

- «يعنى ايه مش فاهمة؟»

– «يعنى مش فاهمة».

اللحظة التى بدأ فيها وجهها بالاحمرار، حتى وصل اللون الأحمر إلى أذنيها.

– «هاجى كثير عشان أنت بتوحشينى».

– «أنت بتقول ايه!»

بصوت متقطع.

– «أنت بتوحشينى وبتوحشنى كل حاجة فيكِ، صوتك، والله العظيم بيوحشنى، ايديك لما بتلمس ايدى، بتوحشنى، كل حاجة فيكى».

رفعت أكتافها وهى تمد شفتيها إلى الأمام، ولم تستطع أن تنطق بكلمة، تعرف إنه يحبها وتعلم أنها تحبه، ولكن لم تكن مستعدة لهذا اللقاء.

– «أنا ..... أنا!»

– «أنا بحبك وبجنون كمان».

هى المرة الأولى التى يعلنها صراحةً ويخبرها بحبه، ارتبكت ولكنها ابتسمت ووضعت عينيها صوب الأرض قائلة:

– «طيب يا خالد، أنا لازم اروح».

لم يختلف الموقف المربك بين خالد وبنت عمه، عن عماد وأميمة، أشعل عماد سيجارته الثانية بعد أن انتهى من أميمة وهو ينظر إليها، ويقول لنفسه: «يخرب بيت شعرك يا شيخة، لولا إنى هايج ماكنتش لمستك».

– «أنا عارفة أنت بتبص ليه، أنا قلت لك اصبر إنما البعيد جبلة».

ثم اختتمت الجملة بصوت اعتراضى.

– «عايزة ايه؟»

– «ولا حاجة أنا قلت لك اصبر ادخل اخد دش، إنما أنت اللى مسروع».

– «لمى نفسك يا بت».

– «طب قوم انزل دلوقتى لاخليك ماتعرفش تنام مع اى واحدة ثانية، أنا مش فاضية».

– «بقولك ايه خشى استحمى وأنا قاعد مستنيكِ».

كان وائل وشريف لا يزالا على القهوة.

– «اعترف يا وائل إنى جامد عليك، ادفع».

– «لا لسه يا e ».

يصمت شريف عندما يشتمه أحد منهم، لا يعلم هل هذا تهريج أم جد.

– «عد ٣ حركات بس يا وائوول وكش مات وادفع».

– «مش هتقوم غير لما تلعب واحد تانى».

– «براحتك بس هنتأخر على عماد وخالد».

– «ايه يا شريف أنت عايز تتفرج على فيلم ولا ايه؟»

مرة أخرى لا يعلم ماذا يقول.

***

مرت دقائق وهو ينظر إلى الاوراق ثم بدأ حلمى فى الكتابة إلا أن حبيبة قاطعته

- «حلمى، وقفت ليه؟»

- «اصلى بانبسط قوى لما بسمع أو افتكر أى مشاعر بكر، بتكون جميلة جدًا».

- «قصدك ايه بقى؟ إنك بتكون مبسوط لما تفتكر حبك البكر».

- «يا حبيبة القلب، أنا دائمًا مبسوط بيكِ، وانت الحب الوحيد الحى».

- «وهو فى حب تانى مات؟!»

أمسك حلمى القلم ونظر إلى البندول، ثم ضغط على زر تشغيل إحدى موسيقاه المفضلة، ودون أن يجيب حبيبة، نظر إلى الملف الرابع وهو يبتسم وفتح إحدى صفحاته التى كان قد كتبها من قبل فى إحدى جلساته.

- «هو أنت لسه بتحبها؟»

- «أنا مش بحبها هى وحشانى جدًا وشايفها فى كل حاجة ولسه بتكسب المقارنات بينها وبين مراتى».

- «تعرف أنت ليه بتحن ليها قوى كده؟»

- «ليه يا دوك؟»

- «عشان مش عايش الحاضر، انزل على الأرض، صدق إنها قررت تسيبك، صدق إنك غلطت كتير، وصدق إنها كانت أول واحدة تسيبك».

- «بحاول اصدق ومش عارف، يا دوك هى لسه ماتجوزتش».

- «هو أنت محتاج ايه من البنت دى؟»

- «مش عارف بس هى وحشانى، يا دكتور تعرف مقولة «وراء كل عظيم امرأة» ؟»

دون أن ينتظر رد من حلمى.

- «اكيد تعرفها، بس أنا مش عظيم ولا حاجة، لكن هى غيرتنى كثير، هى السبب فى تكوين شخصيتى، أنا كل حاجة بعملها أو كل قرار باخده، بتكون هى جزء منه حتى بعد كل السنين دى، هى بتوحشنى عشان هى موجودة فى كل حياتى».

- «طيب تفتكر ايه اللى أنت محتاجة من مراتك عشان تنسى البنت دى؟»

- «محتاج منها ايه! مش عارف».

- «يبقى لازم تتعلم تعرف».

اختار حلمى ورقة أخرى من الملف الأخير.

- «لازم اقعد مع جوزك».

- «هو مش مقتنع أساسًا أنا آسفة يعنى بحضرتك والدكاترة وكده».

– «كلهم كده لحد ما يشوفوا إنهم عندهم مشكلة، أنت عاملة ايه؟»

– «أنا خايفة أطلب الطلاق خايفة قوى، أنا لوحدى على طول، وشى بجد وجعنى من الابتسامة المرسومة، عايزة ابتسامة عادية، نفسى ابتسم يا دكتور، تعرف لما بدخل البيت ببقى مش عارفة اعمل شغل البيت، ولا اروح احاول ارضيه، بس ارجع وأسأل نفسى أنا هارضيه على ايه؟ أنا ماعملتش حاجة عشان يزعل».

***

(دفتر الملاحظات - القلب)

حضر قبل موعدهما بساعة أو أكثر، وجلس فى نفس المكان الذى اعتادا الجلوس فيه، طلب عصير ونظر إلى الصور المعلقة على حوائط «الكافيه»، يعجب بها لأنه يشعر فيهم بالحرية، لم يكن يتصور أنها ستأتى، ولكن بعد لحظات دخلت فتاة ترتدى تايير أبيض فوق الركبة وتالون وشعر مصبوغ بعناية ألهبت حماس كل من كان يجلس.

وقف وهو ينظر إلى تفاصيلها.

– «أنت احلويتى أكثر ما أنت حلوة».

داعبت بلسانها فمها من الداخل.

– «طب ممكن نقعد الناس بتتفرج علينا».

– «وحشتينى جدًا».

أغمضت عينيها قليلًا.

- «ممكن ندخل فى الموضوع على طول».

- «ما هو ده الموضوع، إنك طول عمرك كنت وحشانى».

- «هو أنت مش واخد بالك أنت عملت ايه فىَّ؟»

- «عارف، بس أنت ماتعرفيش، أنا كان معمول فى ايه؟»

- «مش فاهمة».

اختفت ملامح السعادة عن وجهه وحاول جاهدًا أن يتماسك، ولكن دموعه لم تطاوعه.

- «تعرفى أنا كنت ضعيف قوى، ضعيف وأنا شايفك بتحبينى وأنا بابعد، ضعيف وأنا كل ما كنت أفكر أجى أقولك واعترف لك إنى مش بنام غير وأنا بحلم إنك فى حضنى أخاف، كنت زبالة وأنا شايف كل الناس شايفة حبك لى وشايفة إنى بنفض، بس والله العظيم ماكنتش بنفض، كنت عيل وجبان ومافقتش إلا بعد وقت طويل قوى».

- «هو أنت بتعيط ليه؟»

- «مش عارف، بس يمكن عشان بقالى سنين كاتم المشاعر دى جوايا ورافض اعترف بيها، بس هى دى الحقيقة».

أعطته كوبًا من الماء.

- «طب اشرب شوية ميه واهدى».

- «أنا عارف ومتأكد إنك هتمشى ومش هتوافقى نرجع لبعض».

- «احنا أساسًا ماكناش مع بعض».

- «على رأيك، مش هتوافقى نكون مع بعض، بس كان لازم اعترف».

- «ليه لازم؟»

- «يمكن لما تشوفينى ضعيف كده تهدى شوية وتسامحينى على اللى عملته فيكِ».

- «أنا عمرى مازعلت منك بس هاقولك حاجتين».

- «حاجتين بس قولى إن شالله مليون».

- «لا هم حاجتين، الأولى عايزة اعرف تفاصيل أكتر عن كل حاجة».

- «سهلة والتانية؟»

- «ممكن نبقى مع بعض لو اتحايلت على».

***

(دفتر الملاحظات - العقل)

إنجاز جديد وهو ينتصر على كل من توقع فشله، كان قد تخطى جميع المقابلات الشخصية فى إحدى كبرى الشركات دون وساطة من أحد، مرت جميع المقابلات بصورة طبيعية إلا المقابلة الأولى أو اللقاء الأول بينهما حين وجهت إليه سؤال وحاول أن يظهر إمكانياته.

- «تحبى أجاوب بالإنجليزية أم بالفرنسية؟»

لم تبال وهى تطلب منه أن يجيب بأى لغة يفضلها، ولكنها صاغتها بأربع لغات مختلفة بمخارج ألفاظ وتمكن واضح يدل على إجادتها لجميعهم، بدأ إجابته بالإنجليزية وفى منتصف الإجابة حول اللغة إلى الفرنسية، فى هذه اللحظة لم يهتم أن ينجح فى المقابلة أو لا، ولكنه أراد أن ينتصر فى هذا التحدى، ابتسمت وهى تستمع إليه، كان من الواضح أنها موظفة جديدة، فقد كان يجلس بجانبها مديرها ومديره، ولكن قدراتها الخاصة وضعتها فى مكان خاص سريعًا، أبدى مديرهم إعجابه بمعلوماته وإجادته لعدة لغات، غير إنه أعجب بروح التحدى.

كانت هى المسؤولة عن تدريبه، رغم حداثتها فى هذا المكان والتحاقها بالشركة من فترة وجيزة.

– «أنت شاطر ومحدش قال حاجة، بس لازم تتعلم الأول طريقة الشغل، فمن فضلك نهدى شوية».

تقبل كلماتها بصدر رحب رغم إنه فى أى مكان أخر لا يسمح لأى أنثى أن تتحدث له بهذه الصورة ولكنها مختلفة، كان من الواضح أنها من مستوى اجتماعى أعلى منه.

***

ترك حلمى القلم كعادته حين يحاول أن يتذكر تفصيلة بعينها، رفض أن يكمل فقد أقسم من قبل إنه لن يكتب هذا الجزء، لا يريد أن يشعر بالإحباط مرة أخرى، كتب هذا الجزء أكثر من مرة من قبل، ولكن فى كل مرة كان يفشل فى وصف حالاتهم، كان يتقزز كلما فكر فى كيف كانا يفكران أو كيف قررا الارتباط، كلاهما كان يتعامل مع الآخر على إنه سلعة.

- «حلمى مالك؟»

- «مركز بس شوية يا حبيبة، فى حتة فى الرواية معصبانى».

- «خلاص بلاش تحكيها».

كان احتياجه منها محدودًا، أن يرتقى بمستواه معها، وهى كانت تحتاج أن تنجح مع شخص أكثر طموحًا، فقررت أن تنهى علاقتها وقرر أن يقتل علاقته.

- «أنت بتعيط يا حلمى ليه؟»

- «بيصعب على قوى لما حد يسيب حد بيحبه، عشان فاكر إنه هايعيش من غيره أحسن، ومش عارف إنه من غيره أساسًا مش هايعيش».

***

(دفتر الملاحظات - الروح)

كان اللقاء الأول فى حضور الأسرتين، رفضت اللقاء خارج حدود المنزل كما رفض هو أيضًا، من اللحظة الأولى فى لقاء الأسرتين اتضح لوالدتها أن بينهم اختلاف فكرى كبير، ولاحظت والدته نفس الاختلاف.

- «احنا طبعًا نتشرف أن احنا نطلب ايد بنتكم، بس حقكم علينا إنكم تعرفوا ظروف ابنى بالتفصيل».

هنا ابتسمت والدتها فهما الآن على نفس الطريق.

- «لا يا فندم الشرف لينا حضرتك وكفاية تشريفكم بعيدًا عن أى حاجة بعد كده».

ثم بدأت معركة لطيفة بين الوالدتين؛ لأنه ببساطة اتضح لهما الاختلاف، أما هما فكانا يتحدثان على مقربة منهم فى جو روحانى مختلف.

- «هو أنت حافظة كام جزء؟»

- «١٠ أجزاء بس ٥ كويس جدًا وراجعتهم كذا مرة حفظ».

- «ما شاء الله ربنا يقويك».

- «طب وأنت؟»

- «أنا الحمد لله رب العالمين حافظه كله، ومسمعه على شيخ ودلوقتى بحاول اخد الإجازة».

- «ما شاء الله عليك».

- «بتحبى بقى تسمعى لمين من المشايخ؟»

- «الصراحة أنا بحب الشيخ يعقوب جدًا، جميل وهادى ومش بتوتر أو أخاف و أنا بسمعه، ومش عايزة أقولك كلامه ربانى كثير ازاى».

- «ربنا يثبتك، بس أنا هابقى اجيب لك بقى حاجات تسمعيها لمشايخ تانية».

لم يكن اللقاء طويلًا وإن غلب عليه الطابع الروحانى، وهذا ما قربهما بشدة، ولكن كان لوالدتها رأى مغاير.

- «مش هاتجوز غيره يا ماما».

- «يا بنتى ده بعيد قوى عننا ومش شبهك خالص، وأهله ناس زى الفل بس

برده مش شبهنا».

- «يا ماما ملتزم ومتدين والصراحة دمه خفيف».

- «أنت لحقتى تشوفى كل ده؟»

- «ايوه، أنت يا ماما بنفسك قلت لى عليه كده».

- «وأنا مش بانكر بس مش شبهنا، أهله غيرنا طريقتهم غير طريقتنا احنا مختلفين يا بنتى».

- «يا ماما».

- «أنت حرة بس ارجوكى فكرى وادى نفسك فرصة تتقابلوا كمان مرة».

احتياجها لمن يدعم جانبها الروحى فى هذا التوقيت هو ما جعلها تُصرعليه، أحلام الفتاة الصغيرة قد انتهت، رسمت لنفسها حياة ملتزمة معه، أما هو فكان شغله الشاغل البحث عن كيفية إسعاد زوجته وحكم الدين وواجباته تجاهها نظر كلاهما إلى غرفة وحيدة.

***

نظرت حبيبة إلى حلمى.

- «ايه موضوع الغرف ده ؟!»

- «كل واحد جوه الورق ده كان باصص فى حتة واحدة، اللى كان بيفكر فى المكان اللى هايعرف يعمل فيه علاقة مع مراته، والثانى كان بيفكر فى المكان اللى هيجتمع فيه مع ناس من مستوى أعلى أو اللى كان بيفكر فى ركن للصلاة».

– «مش عيب طب ما أنا اتجوزتك وعلى طول قاعدة معاك فى «غرفة واحدة» بس الصراحة ماليها على».

– «مش بالمعنى الحرفى يا حبيبة، لازم لما يكون عندك شقة وفيها غرف كثير زى علاقات اجتماعية وروحية وجنسية ومالية وعاطفية، يبقى لازم تفكر فى كل غرفة من دول، وتعرف أنت محتاج ايه فى كل واحدة، لازم نبص لكل الغرف».

(٥)

أصعب موقف

"مصعبتش عليك"

عامر منيب

ألبوم حب العمر– ٢٠٠٣

مصير أم قرار!

- «أنت عارف طبعًا يا دكتور أنا باجى هنا من قد ايه».

- «طبعًا، ده الشهر الخامس».

- «طيب مافيش حاجة بتتغير».

- «مافيش تغيير من ناحيتكِ؟!»

- «أنا زى ما أنا وهو اللى بقى صعب وبزيادة».

- «طب ليه ماتقوليش أن هو زى ما هو وأنت اللى بقيتى أحسن».

- «أنت بتفكر كده ازاى؟»

ابتسم حلمى حين أكملت.

- «أنا آسفة يا دكتور ماقصدش».

- «لا عادى، بس لازم تعرفى حاجة، اللى انهار فى سنين صعب قوى يتعالج فى أيام، احنا عايزين نرجع الرغبة بينكم، عايزك تخليه يحلم بيكى».

- «يحلم بىّ !! ماتضحكنيش يا دكتور».

- «هيحصل».

- «خائفة يا دكتور هو مايكمّلش».

– «تانى مالناش دعوة بيه، وخائفة أن هو مايكملش، ولا خائفة توصلى لدرجة من الوعى اللى تقدرى بعدها تقررى مصيرك بلا ضغوط».

– «أنت على طول بتصدمنى بواقعية كلامك».

– «بصى، بقالنا خمس شهور شغالين عشان تفهمى نفسك، وتعملى صيانة نفسية ليها، وعندى أمل كبير إنك تقدرى وهيحصل».

***

انتهت مرحلة المتعة وبدأ واقع يهربون منه يوميًا، يوم جديد مادى بحت يمر على غادة، بمجرد دخولها اتجهت والدتها إليها.

– «أنا شفت بنت الأستاذ محمود جارنا وهى ماشية مع ولد وماسك ايديها، اياكى تكونى بتعملى كده؟»

– «لا ماتخافيش يا ماما»،وهمست: «وأنت فاكرة أن فى حد أساسًا هيعبرنى».

– «بتقولى ايه؟»

– «ولا حاجة بقولك ماتخفيش يا ماما».

– «طب خلى بالك عشان لو ده حصل اخوكى هيمسح بيكى الشارع متجرجرة من شعرك».

– «يا ماما قلت لك مستحيل وماتخافيش، «ويلا غورى بقى وارحمينى»، هذه الجملة لم تسمعها الأم فقد كانت همسًا.

لم يكدر صفوها سوى هذا الأخ الذى نصب نفسه واصيًا عليها، يتدخل

فى شؤونها الخاصة، ولا يظهر بمظهر الأخ الوديع إلا فى الحالات النادرة التى يتحول فيها إلى أكثر الرجال أدبًا حين تأتى إليها إحدى صديقاتها، أما والدها فهو بالكاد يراها قبل نومها، كان نادر التواجد فى المنزل ولكن للحق كلما أتيحت له الفرصة للحديث معها كان يستغلها، يحبها كحبيبة وصديقة ولكنه أهمل هذا الحب لصالح واقع مادى فرض على تلك الاسرة.

- "عاملة ايه يا حبيبتى؟"

- "كويسة يا بابا بس قول لاخويا يخف شوية، لاحسن والله بيزودها قوى وماما كمان ماشية على هواه".

- "هاكلمه حاضر، بس لازم تعرفى أن اخوكى راجل وخائف عليكى".

- "يا بابا ايه علاقة الرجولة بالتهديد؟"

- "عشان لسه صغير ومش فاهم".

- "طب ما أنا كمان صغيرة اشمعنا هو مش فاهم وأنا اللى لازم افهم".

- "خلاص يا حبيبتى هافهمه وهاكلمه بس والله أخوكِ طيب، أنت مش عايزة حاجة".

- "لا يا بابا بس كلمه عشان خاطرى".

تعلم أن والدها يحبها ولكن لديها شعور دائم بالنقص، كيف يحبها ولا يتواجد بجانبها، تركت همومها وهى تخرج الكاسيت الصغير من ركنة خلف سريرها، وضعت شريط لراغب علامة هذا المغنى الرومانسى، وهو يغنى "مش مهم"، وبعد لحظة من البكاء مع " قلت الوداع الحلم ضاع وكل معنى فى قلبى ضاع"،

أخرجت كتبها وبدأت فى مراجعة دروسها.

لم تكن ياسمين تهتم بدراستها، هى تعلم أن مستوى ذكائها أعلى بكثير من أقرانها، وتعلم أيضًا أن والدها سيوافق على طلبها للدخول لأى جامعة خاصة، وكانت أمها تشجعها على هذا وكانت دائمة الترديد.

– «باباكى معاه فلوس اطلبى منه اللى أنت محتاجاه وماتتكسفيش ده باباكى».

رحل الأب عن الأسرة منذ سنوات إلى إحدى الدول الأوروبية، حاول كثيرًا أن يقنع والدتها أن تعيش معه هو وياسمين وأختها، ولكنها كانت دائمة الرفض بحجة أن بنتيها لا يجب أن ينشأن فى مجتمع غربى، الغريب فى الأمر أنها كانت تدفع ياسمين دفعًا إلى الفساد الأخلاقى، كانت تهتم فقط بسعادتها هى وأختها دون النظر إلى أى شىء، طالما تحتفظ بنتاها بعذريتهما، لم تمانع تلك الأم أن تترك ياسمين تسافر وقتما تشاء وتعود وقتما تشاء، تركتها لتختلط بأقرانها من الصبية دون حد إلا حد وحيد.

– «ياسمين حافظى على نفسك، اوعى تفرطى يا بنتى فى نفسك لحد، أنت لجوزك وبس».

– «لا يا ماما مستحيل طبعًا».

كانت صدمة ياسمين كبيرة فى والدتها بعد ذلك، الأنثى التى تركها زوجها ورحل وهى فى أوج أنوثتها، لتخطئ مرة وحيدة مع رجل أخر ولكن لسوء حظها رأتها ياسمين، ولكنها لم تخبرها قط وإن ظلت ذكرى معلقة فى رأسها.

مها أيضًا لديها سر تعلمه وحدها، فقد اكتشفت مها أن والدها متزوج بأخرى، ورغم هذا السن الصغير لكنها اتخذت قرارًا بعدم البوح إلى أى شخص، كانت

تشاهد أمها تهان كل لحظة وكانت تحاول هى أن تكون سندها، تحاول أن ترسم البسمة على وجه امرأة قبل أن تكون أمها، احتفظت مها لنفسها بحق حديث يومى مع أمها.

- "عملت ايه فى المدرسة النهاردة؟"

- "زى كل يوم يا مامتى مافيش جديد، هبة وياسمين بيحلووا وغادة عايزة تبقى نجمة وأنا بضحك من المرارة اللى جتلى بسببهم والله يا مامتى أنا هاضربهم بالنار هم الثلاثة وارتاح".

- "طب بقولك ايه تيجى نضربهم سوا ونتحبس واهو نهرب من هنا".

ورثت مها خفة دمها منها، رغم كل الهم الذى تتوشح به فى نهارها قبل ليلها حافظت على ابتسامتها وخفة ظلها، ظلت بجانب والدتها كثيرًا حتى اللحظة التى علمت فيها بزواج أبيها، صدمتها لم تضعفها بل كانت أقوى بكثير مما توقعت وطلبت الانفصال، ووقفت مها مع أمها إلى أن استردت كامل كرامتها التى أهدرت على مر سنوات، لم تكن تعلم مها أنها كانت المصدر الذى استمدت أمها منه طاقتها.

هبة كانت أمها هى مصدر قوتها، تلك المرأة التى كانت تتحكم فى المنزل وكلمتها هى الأولى والأخيرة، استمدت هبة من أمها القوة والثقة، هبة كانت أصغر أخواتها سنًا، وكانت الأم أكثر خبرة وأرادت تجربة أسلوب مختلف فى التربية عن الذى اتبعته مع أخواتها، فقررت أن تكون أقل حدة معها وحاولت أن تكون أقرب لها كصديقة من كونها أم، كانت تعلم أن هبة تخوض تجربة حب ولكنها كانت دائمًا تقول:

– "يا هبة يا حبيبتى أنت هتقعدى وتختارى أحسن واحد فى الدنيا، أنت أميرة شكلًا وأخلاقًا".

هبة شعرت بالتميز داخل أسرتها، فكل القواعد تطبق على الجميع إلا هى، وكانت الأجمل بين زميلاتها كانت تعلم أنها مختلفة.

***

أنهى خالد اللقاء مع بنت عمه وهو فى قمة سعادته، أخيرًا أصبح مرتبط رسميًا وتمنى لو يخبر أصدقائه عن العلاقة، ولكن شيئًا ما فى صدره جعله يصمت لسنوات، عاد مسرعا للبيت ليرتب حضورهم قبل أن تصل والدته إلى المنزل، خالد يعيش معها فقط، فالوالد يعمل بإحدى الدول العربية ولا يأتى إلا فى الأعياد وشهر آخر فى وسط العام، غير ذلك تذهب الأم وخالد إليه فى الإجازة الصيفية وإجازة منتصف العام، استطاع ترتيب كل شىء فى وقت قياسى وكان عماد أول الحاضرين، وقف عماد ينظر إلى الشارع من أعلى وهو ينفث دخان سيجارته ومعها لهيب غيظ، فهو لم يستمتع بأميمة رغم أنه ظل بين فخذيها لساعة كاملة، هو يعشق النوم معها تحت نفس الغطاء، ولكن فكرة أن هناك غيره فى حياتها تشعره بغيرة يرفض البوح عنها، ففى النهاية هى أميمة صديقة الكثير من الطلاب.

– "أنت مش هتشغل الفيلم ولا ايه يا عم؟"

لا يزال خالد فى قمة نشوة الحب ولم يرد عليه، ليعاود عماد.

– "أنت يا عم".

– "ايه عايز ايه؟"

– «أنت مش هتشغل الفيلم؟»

بعد أن عبر عن اعتراضه بصوت عميق من الأنف كعادته.

– «أنت مش لسه كنت عند أميمة ايه بلاعة؟»

– «ايه النق ده يخرب بيت أهلك».

– «اصبر شوية العيال جايه؟»

– «يا عم شريف هيعمل فيها شَريف ويلف وشه؟ ووائل هيبقى عايز يروح بسرعة، ما أنت عارفه بيتكسف مننا ومش هينفع......».

لم يكمل الجملة إلا والدة خالد تطرق على الباب.

– «ايوه يا ماما عماد هنا».

– «طيب يا حبيبى مش عايزين حاجة؟»

– «لا شكرًا، وائل وشريف جايين».

– «ماشى أنا جوه لو احتجت حاجة».

شريف لا يزال منتشى بالفوز مرتين على وائل وبمجرد أن دخل.

– «الزبون اتغلب مرتين وشال المشاريب».

– «ما أنت على طول بتغلبنى مش عارف فرحان كده ليه، فين الفيلم يا عم خالد مافيش وقت».

– «أنت مسروع كده ليه؟»

يتذكر وائل دائمًا هذا الأب الذى يمارس عليه ضغوطًا كثيرة حتى فى اختيار أصدقائه، ورغم محاولاته المستميتة للبقاء على صداقتهم لصار وحيدًا.

– «يا عم مش عايز أتأخر، الراجل اللى فى البيت ده هيقرف اللى خلفونى، والصراحة كمان أخوكم تعبان».

بدأ الفيلم جلس الجميع على مقربة من التلفاز إلا شريف انطوى فى زاوية، وحاول جاهدًا مقاومة المشاهدة، أخذ يتابع الفيلم خلسة بين الحين والآخر، أشعل سيجارة جديدة فى محاولة أن يفقد تركيزه، فالشهوة بدأت تتمكن منه، على الجانب الآخر لم يتردد عماد فى وضع يديه داخل ملابسه ليقذف شهوته، أما خالد فلم يهتم لأنه سيشاهده منفردًا بعد رحيلهم، وائل ظل مترددًا هل يفعلها هنا أم يعود إلى المنزل، ولكن ستكون متعة اللحظة قد انتهت، سؤال ظل يتردد فى رأسه إلى أن انتهى الفيلم، وشريف يشرب السيجارة الثالثة، أما عماد فكان يقف ليرتب ملابسه وكأن شيئًا لم يكن.

بمجرد أن رحلوا توجه خالد إلى الهاتف.

– «الو».

– «كان نفسى أنت اللى تردى».

– «يالهوى، أنت بتتصل هنا إزاى؟»

– «عادى بكلم بنت عمى».

– «يا سلام».

– «وهو أنت مش بنت عمى ولا ايه؟»

– «خالد أقفل والنبى أنا هاموت».

– «لا ما هو أنت ماردتيش على».

– «اقفل بقول لك».

– «ردى الأول».

– «مش عارفة».

– «طيب ايه؟»

– «مش عارفة والله، هاقابلك بكره».

بمجرد أن عاد شريف إلى المنزل وبعد أن ارتدى ملابسه، توجه إلى والده وببلاهة مصطنعة سأله:

– «بابا فى حاجة بيضه كده نزلت ايه دى؟»

– «ادخل استحمى عادى دى طاقة زيادة بس».

«طاقة زيادة» ظلت تتردد الإجابة فى رأسه وهو يسأل نفسه «هو ليه ماشرحليش؟!»

***

نظر حلمى إلى بندول ساعته وارتدى نظارته بعد أن أزال ما عليها من غبار، واتجه إلى حائطٍ خالٍ وبدأ فى تثبيت ملاحظات جديدة.

– «بتعلق ايه تانى يا حبيبى؟ احنا قربنا على الصبح».

– «مش عارف أنام».

– «طيب بتعلق ايه؟»

– «دى اللحظة اللى ممكن تكون فرقت مع كل واحد فيهم».

– «وأنت عرفت منين بقى؟»

– «كل مشاعر بتأثر فينا فى الحياة لازم تبدأ فى لحظة، وأنا أعتقد إنى لقيت اللحظة دى عندهم».

– «هاتفرق؟»

– «لو اللحظة قدرنا نعالجها حاجات كثير ممكن تتحل».

***

خالد

أسوأ درجات الحزن هذا الحزن الذى نُجبر فيه على أن نرسم السعادة على وجوهنا، ولكن هذه السعادة اختفت وهربت دمعة رآها هو وحده وهى تمد له يدها فى حفل زفافه، وتنظر فى عينيه وتسأله:

– «ليه يا خالد؟ ما أنت عارف اللى أنا شفته، ما أنت عارف».

انتكست عيناه وهو لا يدرى ماذا يقول ولكنها مالت عليه ودون وعى اقتربت من أذنه لدرجة ظن البعض أنها تقبله، وقالت:

- «هنساك يا خالد، بنت عمك هتنساك، بس أنت مش هاتعرف تنسانى، والله العظيم ما هتنسانى».

ثم مالت بعدها وقبلت العروس وهى تطلب منها أن تضع خالد فى عينيها وقالت:

- «خلى بالك من خالد، ده أجدع واحد فى العائلة كلها».

ثم نظرت إلى خالد وابتسمت ابتسامة ثقة والتى انتهى بعدها الحب من قلبها للأبد.

مها

كان الطريق إلى قاعة الفرح أشبه بطرق سباقات الصحراء، أنت وحدك وحرارة شديدة كان يشعر بها رغم المكيف الذى يعمل على أعلى درجاته والسيارة الفارهة، وبمجرد أن وصل إلى قاعة الفرح اختفى الحضور وبقيت مها أمامه ودمعة حبيسة فى عينيه، نظرت إليه ورفضت أن تخفى ابتسامة رسمها على وجهها من تتمايل بين أحضانه، فهو أحق بالابتسامة عن حزن إشفاقًا على ماضٍ رفضها، كان قلبها يُعتصر من الحزن وللمرة الأولى تشعر برغبة فى البكاء منذ أن تركها، فهى تعلم أنها لا تحب هذا الرجل الذى يطوق خصرها بذراعيه وإنما جمعهما الاحتياج.

غادة

كان صيف السنة الأخيرة قبل تخرجها، وكعادتها جلست غادة فى غرفتها الصغيرة وهى تتحدث من هاتفها المحمول وصوت الكاسيت الذى لا زالت تحتفظ به على أقل درجاته، حين سمعت أصوات أصدقاء أخيها فى الخارج، كان الصوت طبيعى

للحظات، ولكنه بدأ يعلو تدريجيًا حتى سمعت صوت صريخ أمها، تملكها الخوف وهى تفتح باب غرفتها وتخرج بملابس نومها لترى أصدقائه يبكون ووالدتها فى انهيار ورأتها على الأرض وهم يحاولون حملها وتقول:

- «ليه كده أنت ظالم؟ ليه تاخده ليه؟»

نظرت إلى والدها الذى فقد القدرة على الكلام إلا من جملة ظل يرددها وهو ينظر إليها.

- «تصدقى مات يا غادة، اخوكى مات».

لم تستوعب المشهد إلى أن سألت أحد أصدقائه: «فى ايه؟» وهو يرد: «مات، اخوكى مات»، لم تشعر بمثيل لتلك اللحظة فى حياتها، وللمرة الأولى منذ زمن بعيد تشعر أنها كانت تحبه، ولم تقاوم يديها وهى تنهال لطمًا على وجهها، ثم تتجه إلى أصدقائه وتضربهم بكل قوة تملكها.

- «موتوا اخويا ليه؟ موتوه ازاى؟ مين موته؟»

مشهد لأم على الأرض وأب يجلس دون حراك، وهو يردد: «اخوكى مات يا غادة»، وأخت تنهال ضربًا على الجميع بيديها وهى تردد.

- «أنا السبب، أنا اللى موته، أنا اللى دعيت عليه».

مشهد ظل يلازم تلك الأسرة فترة طويلة، ويلازم غادة مع شعور بالندم على دعوات كثيرة كانت ترجوها أن يرحل عنها، لم تكن تعنى أن يموت، فقط أن يتركها دون تدخل إلا أن نعمة النسيان التى أنعم الله بها علينا جعلت الحزن يقل مع الوقت، إلا أنها رفضت أن تترك غرفتها الصغيرة وتنتقل إلى غرفته وإن

خف الضغط عليها لتبدأ غادة مرحلة جديدة.

ياسمين

لم يكن هذا الأسبوع أصعب من الأسبوع الذى سبق زواجها حين تحدثت معه.

- «أنت بتتصلى ليه دلوقتى؟»

- «أنا خايفة».

- «بلاش تتجوزى، بلاش ومش عايز اتجوزك بس بلاش».

- «مش هاينفع».

- «ليه؟»

- «مش هاينفع وخلاص».

- «طب تعالى هاتجوزك حالًا، اقسم بالله هاتجوزك حالًا».

كانت تعلم أن اختيارها خاطئ وتدرك جيدًا أنها ستندم.

لم يرد على رسائلها بعد زواجها إلا بجملة واحدة، «عيب أنت ست متجوزة».

عماد

- «ممكن طلب».

- «للأسف لا، عشان أنا أضعف من إنى أرفض لك طلب، أنا لسه ضعيفة

بحبك، ومش متخيلة حياتى من غيرك، لأنك ببساطه كنت حياتى».

- «أنا عمرى ما هاختار حد .....».

- «قلت لك اسكت وسيبنى اتكلم معاك للمرة الأخيرة، سيبنى اقولك اللى أنت ماعرفتوش طول السنين الكثير اللى فاتت، ايوه أنا بحبك وايوه استنيت اليوم اللى تبوسنى فيه، كان نفسى ابوسك وكان نفسى اكون فى حضنك، كنت بامنع نفسى عنك كل يوم عشان مستنيه استمتع بحضنك فى الوقت الصح، اللى احس فيه بحبك، بس واضح انها هتفضل أمنية، أنت النهارده بقيت حلم الطفولة وهاحاول ارسم حياتى من جديد».

تركته وللمرة الأولى يشعر عماد بمعنى الفقد.

هبة

فقدت اتزانها مع هذا الشعور بالفقد، لم تعد الأميرة التى تلهب الأبصار ببريقها، لم تعد سوى جسد بلا روح، انقطعت هبة عن عالمها، وظلت حبيسة حزن رفضت أن تبوح به لأحد، ظلت تائهة لسنوات إلى أن تغير كل شىء بعد أول لقاء لها مع إحدى الداعيات أم إكرام كما كانوا يلقبونها، هذه الأم الرائعة التى حاولت بلين أن تُصلح ما أفسدته أسر كثيرة ومجتمع من أخلاقيات وأساسيات الدين، كان هدفها أن تضعهن على أول طريق الإسلام الصحيح، الدين الذى كرم المرأة كما لم يكرمها أحد، كانت تحمل شهادات أزهرية وأخرى من دول إسلامية وجامعات عن الشريعة والأحكام، متخصصة فى علم النفس وطبيبة بشرية ومع كل هذا كانت ابتسامتها تأسر طلابها، تدريجيًا ومع نصائح أم إكرام بدأت تعود إلى روحها، ومع الوقت بدأت فى نسيانه، ليس لأنها لم تعد تحبه ولكن لأن العلاقة دون زواج حرام شرعًا.

استمعت لمحاضرات كثيرة للشيخ يعقوب، وخاصة وهو يقول: "يا من تبحثين عن الحب يا من تبحثين عن الأمان، يا من من تبحثين عن الاستقرار، يا من تبحثين عن الحياة والسعادة، ومثلها للشباب لن تجدوه إلا بالدين"، ثم يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار". وشيئًا فشىء بدأت تخرج من حزنها إلى أن رحل تدريجيًا من قلبها، وإن ظل ذكرى.

شريف

كانت الخطيئة الأولى فى حياته حين مارس معها علاقة جنسية كاملة، عاد بعدها إلى منزل الأسرة ودون أن يلقى التحية على أحد دخل إلى غرفته وأغلق جميع الأنوار ودفن نفسه تحت الغطاء وكل أمانيه أن ينام فى أسرع وقت ممكن، خوف سيطر عليه لأيام، أصبح يخشى الضوء حتى ضوء الثلاجة كان يرعبه، رغم هذا الخوف كان فى حالة من الدهشة عما بدر منه، كيف استطاعت أن تغويه، كيف استطاعت أن تُقنعه أن يمارس معها علاقة كاملة؟ كيف اقتنع وهى لا زالت على ذمة رجل آخر؟ كيف أقنعته إنه لا يوجد مجال للعودة إلى زوجها؟ وأنها فى أشد الاحتياج له؟ سؤال لا زال مستمرًا معه ويدرك أنه مهما طال الوقت سيقتص الله من فعلته، وظل يستغفر كثيرًا، ولا يزال يستغفر فقد يغفر الله له ويصون أهل بيته.

وائل

- "أنتم بتتصلوا بوائل كثير ليه؟"

كان هذا السؤال ما طرحه والده على أهل فتاة كان قد كتب كتابه عليها وشاءت

الأقدار أن تتوقف الزيجة، ضعف وائل جعله يهرب من المواجهة ولكن كان لا بد للزيجة أن تنتهى، لم يفعل شيئًا سوى أنه وكّل والده لتطليق تلك الفتاة، ولم يؤثر فيه شىء سوى اتصال منها.

- «وائل أنا عايز اقولك حاجة واحدة بس، الحمد لله أن احنا اطلقنا، عشان الراجل اللى مايعرفش يطلق لوحده، اكيد ماكانش هايعرف يتجوز لوحده».

أغلقت الهاتف وأغلق هو بعد المكالمة علاقته بوالده، لأنه أدرك أنه يسيطر على كل حياته، وبدأ مرحلة مختلفة.

***

توقف وهو يحاول استيعاب تدفق الأحداث، دقائق عاد بعدها حلمى لقلمه،

شيئان من الممكن أن يغيرا حياة الإنسان موقف يمر دون تدخل منا، واختيار بكامل إرادتنا.

وضعت حبيبة كوبًا من الشاى أمامه وجلست.

- «وقفت ليه؟ كمل!!»

- «تعبت».

- «لا أنا عايزة اعرف التفاصيل كلها لما كبروا، هم فضلوا اصحاب البنات والولاد وحصلهم ايه؟»

- «هم ماكانوش اصحاب وهم صغيرين».

- «ماكنوش أصحاب، ازاى يعنى؟!»

- «ايوه هم الثمانية عمرهم ما كانوا أصحاب، بس قصصهم كانت شبه بعض، وكل واحد فيهم كان عنده اصحاب شبه باقى شخصيات روايتنا».

- «أنا مش فاهمة حاجة، ومش هاعرف أكمل وأنا مش فاهم حاجة».

- «ياسمين وهبة وغادة ومها وهم صغيرين عمرهم ما عرفوا بعض، بس كل واحدة فيهم كان عندها شلة فيها باقى الشخصيات، يعنى هبة كان ليها شلة فيها بنت شبه ياسمين وشبه غادة وشبه مها».

- «يا سلام!»

- «والأولاد كمان كل واحد كان له شلة وكل شلة كان فيها نفس الأربع شخصيات».

- «نعم».

- «اه يا حبيبة شخصياتهم هى أبطال الرواية مش أسمائهم، الأسماء دى حروف بتتكتب على ورق جنب صورة، عشان نفرق بين بعض، إنما الأهم شخصيتنا من جوه، مشاعرنا وكل إحساس مر بينا ومرنا بيه».

ثم وضع حلمى رأسه بين يديه وهو ينظر إلى الأوراق المعلقة أمامه ودفتر ملاحظاته وابتسم.

- «هم ماكنوش أصحاب وهم صغيرين يا حبيبة، بس اتجوزا بعض لما كبروا».

(٦)

ذكريات

"اللى جرحنى"

شيرين عبد الوهاب

ألبوم لازم أعيش – ٢٠٠٥

لساكِ كلمة بتتنطق إعجاز بين أمنيات.

انتهت مرحلة المدرسة، وما أن بدأت الدراسة الجامعية حتى صار لقائهم مقتصرًا على أيام الإجازات وانتهى لقاؤهم اليومى إلى الأبد، وبدأ جميعهم فى البحث عن واقع جديد مع أصدقاء جدد، والبحث عن بداية جديدة لمشاعرهم لكنهم بقوا أصدقاء لذكريات لا يمكن أن تُمحى.

وضعت حبيبة كوب الشاى على منضدة أمامها وقالت:

- «حلمى، ايه الحب؟»

- «مالوش وصف».

- «ازاى!!»

- «الحب فعلًا مالوش وصف ولا ينفع أقول لك الحب هو كذا، الحب يا حبيبة مرتبط بالشخص، عامل زى الجين اللى فى خلايانا بس جين موجود فى أرواحنا، كل واحد له صفات حب مختلفة، ومش بس الجين اللى مؤثر فى فهمنا للحب كمان المواقف اللى عشناها، خليط من روحنا والواقع اللى عشناه».

- «يعنى ممكن فهمى للحب يختلف مع كل موقف اعيشه؟»

- «فى ناس يا حبيبة بتقول الحب هو الصبر، وناس بتقول الحب تضحية أو اهتمام، وناس بتوصف الحب باللحظة اللى قلبك يدق فيها ونفسك يقف وتبقى عامل زى السكران ومش شايف غير اللى أنت بتحبه، غيرهم بيقولوا إنه الإخلاص، الناس بتحب حسب تجاربهم».

- «وايه فيهم الصح؟»

- «الحب له مليون معنى وكلهم صح، المهم ازاى بنحب».

- «تانى إزاى بنحب؟»

- «ايوه يا حبيبة، الحب حالة بيقررها اللى بيحب تكون ازاى، وأى جزء جوانا نحب بيه».

- «يعنى ايه أى جزء؟»

***

حاول شريف أن تكون المرحلة الجامعية بداية مختلفة لمشاعره، التحقت غادة بنفس الكلية، وبحكم الشبه بين شريف وأخيها المتوفى اقتربت منه حتى صار كلاهما لا يفترقا، صباحًا فى المحاضرات، ويمتد الوقت بينهما فى حل الملازم أو مراجعة بعض المواد، كان قلب شريف يتحدث وكان اشتياق غادة إلى أخيها هو الذى يدفعها للتقرب منه، إلى أن قرر قلب شريف الاعتراف.

***

- «شريف، عندى سؤال مش المفروض إنى أسأله، بس أنا لحد دلوقتى مش عارف أنت بتيجى ليه؟»

نظر من أسفل نظارته وهو يبتسم:

- «أنت زهقت منى يا دكتور حلمى؟»

- «لا خالص، بس أنت كان عندك مشكلة واحدة، ودى ماخدتش وقت كثير

عشان نحلها».

– «تعرف يا دكتور، أنا باجى عشان ماعنديش حد اتكلم معاه».

توجه حلمى إلى ثلاجة صغيرة.

– «أنت عندك أصحاب كثير على حسب ما فهمت من كلامنا، تحب تشرب ايه صودا ولا عصير؟»

– «عصير ماشى».

وقف شريف بجانب حلمى ثم بدأ فى الحديث.

– «عندى كثير، بس أنا بخاف أحكى لحد أى حاجة، طول عمرى بحس إنى لو اتكلمت اصحابى هتتريق على، طول عمرى بحب وأنا ساكت، ولما حبيت واتكلمت اتوجعت قوى فبطلت أتكلم، بطلت تمامًا».

ضحك ضحكة وحيدة بصوت وأكمل.

– «ولما اتجوزت بقيت اخاف اتكلم لأغلط ومراتى تحسب الغلطة على، كثير قوى ببقى نفسى أكلم حد ماعرفوش وأحكى له حاجات كثير وماشوفوش تانى».

– «عشان كده أنت دائمًا جواك كلام، بس تعرف يا شريف أنا عمرى ما حسيت إنك مش واثق فى نفسك، وموضوع مراتك ده إتحل من فترة».

– «أنا برسم الثقة يا دكتور، برسمها بس».

– طب المرة اللى جاية تحكى أكتر

– مش هحكى ممكن أبقى أكتب

***

جلس شريف وحيدًا بعد أن نامت زوجته، أخرج حاسبه المحمول فى هدوء وتلفت وبدأ فى الكتابة بعد أن تابع وميض المؤشر للحظات.

غادة كانت أول قصة حب، كنت أعلم عنها الكثير بحكم صداقة طويلة جمعتنا، بعد عامنا الأول فى الكلية تغيرت كثيرًا ولم تعد تلك الفتاة صاحبة الوزن الزائد والجيب الطويل والكوتشى، أصبحت الفتاة الأجمل بين شلتها - كم تتبدل الأحوال–، لكن كان التغيير ظاهريًا فقط، فلا زالت تحلم بقصة رومانسية، واستمر هذا الحلم رغم أنها الآن "المزة" غادة لقبها التى تستمتع به ولكن حلمها لم يتحقق بعد، كنت أنا وغادة صديقين مقربين لدرجة أن ظن البعض أن هناك علاقة بيننا، وكنا دائمى النفى إلا أن كل شىء تغير فى لحظة.

– "غادة أنا عايزك فى حاجة".

– "أنت مالك رسمى كده!! فى ايه يا شريف؟"

أشار إلى أبعد مكان داخل الحرم.

– "لا عادى، تعالى بس نقعد شوية هناك".

– "تعالى".

حاولت جاهدًا أن تكون اللحظة رومانسية، اخترت غروب الشمس وبقعة بعيدة عن أعين الجميع، وباقة صغيرة من الورود أخفيتها بصعوبة، حاولت أن أرسم حلمها، جلست جانبها قدر المستطاع وأخذت نفس عميق، ودون

مقدمات استجمعت شجاعة لم أعهدها من قبل:

– «غادة أنا بحبك».

– «ايه؟!»

وقفت وعلى وجهها علامات دهشة لم أرها من قبل، ولكنى أكدت لها:

– «بحبك، اقعدى بس».

– «شريف إحنا!! أنا وأنت أزاى يعنى!»

فكت رباط شعرها وحاولت أن تلم شعرها بكلتا يديها.

– «والله حاولت ومش قادر».

– «شريفماينفعش»، قالتها وهى تحاول لم شعرها.

– «ليه!!»

– «شريف أنت اخويا، وأنت عارف إنك زى اخويا بالظبط».

تابعت تفاصيل وجهها وأنا أتحدث دون رهبة:

– «أنا عرفتك قوى وحاسس بيكِ جدًا، وعارف قد ايه أنت رومانسية ونفسك فى علاقة تكون كده، وعارف إنك مش هترتبطى غير بواحد بيحبك وأنا يا غادة بحبك جدًا وفوق ما تتخيلى، أنا بحب اشوفك واكلمك وابص عليكِ، وبحب احساس الحب وأنا بحبك، غادة أنا بعشقك ماينفعش نبقى اخوات».

– «مش عارفة اقولك ايه على الكلام الجميل ده كله، بس شريف أنا، أنا مش

بحبك!!»

لم أسيطر على نفسى وأنا أرتل عليها قصيدة كنت كتبتها على الرغم من أنى لا أجيد الشعر، حتى أننى لم أسمعها وهى تقول: «أنا مش بحبك»، كانت كلماتها رقيقة ولكن امتزجت كلماتى بدموعها، للمرة الأولى أصبح بهذه الجرأة، لم يكن ينقص المشهد سوى أن أحتضن يديها، أن أشعرها بهذا الدفء الذى يخرج من داخلى، أن تشعر أنها تمتلكنى ولكن عدت هذا الفتى الجبان وصمت وتركتها حتى تهدأ.

توترت الجلسة بيننا، حاولتُ احتواء الموقف، وحاولتْ أن تنهى اللقاء وكأنه لم يحدث، ولكن محاولاتنا باءت بالفشل كفشلها فى أن تعيد شعرها على ما كان عليه.

– «خلاص يا شريف بقى أنت عارف، أناماينفعش اكدب عليك واقولك هافكر وكده، أنا وأنت ماينفعش نكون مع بعض».

حاولت أن تنهى حرارة المشهد ولكنى كنت قد رحلت محملًا بخيبة أمل وجرح ازداد يومًا بعد يوم، كنت أتساءل دومًا ألم تحلم غادة بمشهد كهذا طوال حياتها لماذا رفضت إذا؟!

نظر شريف إلى شاشة الحاسب وعاد بظهره إلى الوراء، حاول أن يستعيد غادة من ذاكرته، على الرغم من مرور أعوام على هذا اللقاء إلا أن غادة تركت له شيئًا لم يمحه الزمن، أخذ نفسًا عميقًا ثم عاود الكتابة.

مها لم تتغير مثل غادة، وظلت صاحبة الابتسامة والروح الأجمل، وبقيت على مبدئها ورفضت فكرة الارتباط، حتى خالد الذى حلمت به منذ صغرها رفضته كثيرًا ليس هو وإنما العلاقة، كانت ترى أن الارتباط نشوة لحظية تختفى

مع الوقت، أو علاقة محكوم عليها بالفشل بحكم تجارب صديقاتها، ظلت متحفظة فى علاقتها بخالد ولكن تحت إصراره ومصارحته لوالدتها وافقت على الارتباط وإخفاء الأمر عن الأسرتين إلا من والدتها، وبدا أن نهرًا من الحب قد انفجر، حتى أصبحت تهتم بأدق تفاصيل حياته، كانت تحبه لدرجة أنها عاشت تفاصيله حتى صار قلبها تفصيلة فى حياة خالد.

- «خالد أنا قلت لماما إنى نازلة اشترى حاجة وراجعة على طول وماقلتلهاش إنى نازلة اشوفك».

- «أنت بتضحكى على حماتى، طب لما نتجوز يا مها هاقولها».

لا زالت تخجل عند كلمة زواج، تلفتت رغم علمها أنه لا يوجد أحد جانبها ومسكت سماعة الهاتف بكلتا يديها.

- «ممكن تحلف بحياتى إنك هاتسمع كلامى؟»

- «ما أنا بسمعه على طول».

- «أحلف».

- «والله هاسمع».

- «الساعة دلوقت اربعة ممكن نتقابل كمان ساعة؟»

انهت المكالمة لتلتقى به، ولم تمر الساعة إلا وهى أمامه.

- «بص أنت حلفت إنك هاتسمع كلامى».

وضع يديه على كتفها.

– «قولى بقى فى ايه؟»

أزاحت يده وهى تتلفت حولها وتبتسم خجلًا.

– «أنا بقالى شوية باحوش عشان كنت ناوية اجيب البدلة اللى هتخطبنى بيها هدية، بس الصراحة الشركة اللى أنت رايحها كبيرة زى ما أنت فهمتنى».

– «مها،ماينفعش فلوس لا».

– «أنت حلفت بحياتى».

– «يا مها بس.....».

مسكت يده وبدأت فى السير.

– «مافيش بس، أنا معايا ألف جنيه».

توقف ووقف أمامها وهو ممسك بيديها.

– «بشرط».

– «كمان هتتشرط».

– «اه».

– «اشرط يا سيدى».

– «توافقى ابوسك يوم الخطوبة».

مر الوقت سريعًا ولكنها اختارت الشكل الذى حلمت به، بدلة سوداء ورباط

عنق أزرق بلون أفتح من لون السماء لحظة صفائها، وقميصين واحد للمقابلة والآخر للخطبة، وبقى مبلغ صغير كان يكفى لشراء ساعة شكلها لا يوحى بأنها صينية المنشأ.

ساعة أخرى كانت هدية هبة لعماد بمناسبة عيد مولده، وإن كانت هذه ساعة يتعدى ثمنها الآلف جنيه، فى إحدى كافيهات الزمالك جلست هبة فى أبهى صورها تحتفل بعيد ميلاد عماد بمفردهما قبل أن يحتفلا فى اليوم التالى مع أصدقائهم، طقوس خاصة يتبعانها منذ المرحلة الثانوية حين بدأت علاقتهما.

– «كل سنة وأنت طيب يا حبيبى، ممكن تفتح الهدية؟»

– «دلوقتى؟»

– «اه».

فتح الغلاف ثم أبدى اندهاشه وهو يرى نفس الساعة التى أعجب بها معها من قبل.

– «و أنت طيبة، بس الساعة دى غالية جدًا».

– «مافيش حاجة تغلا عليك، تعرف امبارح كنت قاعدة كده بافتكر أول مرة كان عيد ميلادك واحنا فى ثانوى فاكر عملت ايه فيه؟»

– «لا مش فاكر!!»

– «لما خرجت مع البنت دى اللى كنت مصاحبها قبل ما تحبنى».

أشعل سيجارة وهو يضع يديه أسفل ذقنه.

- «ايه اللى فكرك بيها دلوقتى؟!»

- «لا بجد كان اسمها ايه؟ كانت ملزقة جدًا فظيعة مش ممكن».

- «أنت عايزة تتخانقى؟»

- «لا والله يا حبيبى أنا بس باهرج وكنت قاعدة امبارح نفسى افتكر اسمها».

- «ياسمين، كان اسمها ياسمين وماتفتحيش الموضوع ده تانى، عشان أنت وبس اللى فى حياتى وأنا عمرى ما خنتك».

أشارت هبة إلى مدير المحل لتدخل تورتة كبيرة محاطة بعمال الكافية، واهتز المكان «سنة حلوة يا جميل سنة حلوة يا جميل»، لتختلس هبة لحظة بين هذا الصخب لتقول: « كل سنة و أنت حبيبى»، ليرسل لها قبلة فى الهواء، كانت من المرات القليلة التى توافق أن تركب معه فى سيارته بمفردهما، كانا على وشك إعلان خطبتهما رسميًا، فقد التقى بوالدتها وكانت باقى الترتيبات مجرد مسألة وقت، بمجرد أن ركبت معه فى السيارة رن هاتفه المحمول ليسمع صوت إحدى صديقاته على الطرف الآخر، يستطيع هذا الفتى أن يسيطر على مشاعره سريعًا.

- «ايه يا عماد أنت فين؟»

- «أنا فى الزمالك».

- «ايه ده أفتكرتك هتكذب، طب أنا راكنة وراك، انزل لما اسلم عليك وابوسك ولا بطلت تتباس؟»

لم يتوتر عماد هو لم يتوتر قط فى حياته، نظرت هبة إليه.

– «فى ايه؟»

– «لا يا حبيبتى ولا حاجة، دى واحدة معانا فى الشغل شافتنى وهى معدية وكانت بتروش يعنى، بقولك هنزل اجيب حاجة من شنطة العربية».

– «ماشى».

خرج من السيارة وفتح الشنطة لتحجب الرؤية عن هبة ثم نظر خلفه.

– «ايه يا بنتى أنت فين؟

– «أنا عايشة أنت اللى بطلت تكلمنى، مين معاك؟»

– «واحدة صاحبتى كنا قاعدين مع جماعة صحابنا جوه».

– «صحباتك مابيخلصوش، لولا بس أن احنا فى الشارع والله كنت حضنتك».

– «لا هاكلمك أنا بليل ونتقابل نحضن زى ما أنت عايزة».

لقاء لم يتعد الخمس دقائق استطاع أن يسيطر على انفعالاته ومر كأن شيئًا لم يكن.

توقف شريف عن الكتابة وهو ينظر إلى صورة والده وسرعان ما توالت الكلمات أمامه.

***

نظرت حبيبة بدهشة

– «هو عماد كان مصاحب ياسمين صاحبة هبة، الاثنين فى نفس الوقت يعنى؟»

– «أنا مش قلت لك يا حبيبة هم عمرهم ما كانوا أصحاب، بس البنت الملزقة اللى ماكنتش عاجبة هبة دى كانت شبه صاحبة عمرها، بس احنا بنحب و بنكره على حسب الموقف، أحنا بنحب ونكره نفس الشخصية فى نفس الوقت عشان المواقف».

***

وائل لا يمتلك تلك القدرة على التحكم فى قرارته أو انفعالاته، يتحول وجهه إلى اللون الأحمر ويفقد القدرة على التركيز بمجرد أن يشعر بأى ضغط، والده كان أحد أهم الأسباب التى فقد بسببها القدرة على التحكم فى انفعالاته، بمجرد أن تخرج من الكلية قرر والده أنه سيتزوج وعلى الرغم من رفضه لفكرة الزواج إلا أن والده أصر على اختيار عروسًا له، كانت مها ابنة صديق له، فتاة جميلة أعجب الأب بها وقرر أن يخطبها لوائل، أصبح خاضعًا لسيطرة والده حتى فقد القدرة على الرفض، لم تعلم مها بهذا اللقاء سوى صباح نفس اليوم، تحدثت مع خالد مباشرة.

– «خالد عايزة اقابلك».

– «دلوقتى؟»

– «يا ريت».

– «بقولك ايه أنا جنبكم نص ساعة كده واجى، هو مال صوتك خايف كده فى ايه؟»

– «لما تيجى».

مرت النصف ساعة وكان خالد ومها فى الشرفة كعادتهما.

- «جايلى عريس النهارده».

- «أنت اتجننتِ ولا ايه؟»

- «بابا لسه قايل لى فى حد هايجى النهارده، غالبًا يتفرجوا علىّ».

- «يتفرج عليكِ!! بقولك ايه احنا فيها أنا هاخرج أقوله».

اقتحمت والدة مها المشهد وهى تعلم عن ماذا يدور الحوار.

- «أنتم عاملين موضوع ليه؟ دى حاجة بسيطة جدًا، هو عمك بس اللى ماقليش غير النهارده والناس جايين النهارده، ما أنت عارف عمك مش بيركز فى الحاجات دى».

- «طب ينفع احضر معاكم؟»

- «مايصحش يا ابنى».

كان الحوار أكثر ندية مع وائل.

دخل والد وائل الغرفة بعد أن طرق الباب دون انتظار رد كعادته.

- «فضى نفسك بكره، انزل هات بدلة على حسابى».

نظر وائل إلى والده وهو يجلس أمام حاسبه الآلى:

- «ايه عندنا فرح؟»

– «هانشوف عروسة».

– «عروسة!!»

وقف ليعترض ولكن قاطعه كالعادة:

– «أنت كبرت خلاص واحنا رايحين نقابل الناس بكره».

كان الحوار يبدو هادئًا بين وائل ووالده لكنه كان مليئًا بغضب داخلى، على الجانب الآخر كان الحوار أكثر هدوءً بين مها ووالدتها بعد أن رحل خالد وهو يستشيط غضبًا.

– «ما تخافيش يا حبيبتى هنلاقى سبب ونرفضه.

جلست مها على سريرها.

– «أنا خايفه يا مامتى لبابا يحكم دماغه».

– «لا يا مها ما تخافيش ده كان زمان، بس لازم نقابل الناس عشان بابا إداهم كلمة».

– «ماما أنت عارفة...»

– «خلاص قلت أنا هاتصرف».

لا يستطيع وائل الرفض كان يحدث نفسه: «لا مش معقول بقى كده حرام، حتى الجواز هايتحكم فيه»، ورغم اعتارضه إلا أن اللقاء تم،

فى تمام السادسة وصل وائل ووالده، وكانت مها لا تزال على سريرها، لم ترد

سوى جينز وشعرها حجمته برباط شعر.

- «بسم الله ما شاء الله».

ابتسامة بلا روح كانت الرد على والد وائل.

- «أهلًا يا عمو».

نظر وائل إلى والده ومها:

- «أهلًا وسهلًا».

اعتدل والد وائل فى جلسته وهو يربت على ظهر وائل.

- «يعنى أنت عندك بنوتة زى القمر كده ومانعرفش؟»

ثم نظر لوائل.

- «ربنا يجعلها من نصيبك».

نظرت مها إلى والدتها بدهشة حين طلب منها والدها الجلوس مع وائل منفردين، فأشارت لها بالموافقة برأسها.

- «ازيك يا مها عاملة ايه؟ تحبى تشربى حاجة؟»

واستمر مسلسل الابتسامات السخيفة من مها.

- «لا أنا تمام، أنت شربت حاجة؟»

- «والله بيتك ومطرحك اجيب لك ايه؟»

توجه وائل إلى السفرة ووضع كأسين من العصير، وعاد وهو يحملهما وهو يصطنع خجل البنات وهن يقدمن القهوة، ضحكت هذه المرة فهذا ما يجيده وائل، التفت الجميع لهم وكان أول رد فعل لوالد وائل.

- « على بركة الله نقرأ الفاتحة بقى».

لتتدخل الأم:

- «لأ حضرتك لازم نستنى لما البنت تفكر وناخد رأيها».

تغير والد مها كثيرًا، لم يقاطع زوجته، فبعد أن اكتشفت الأم زواجه بأخرى ووقفت مها بجانبها لحظة أن طلبت الانفصال، وكادا أن ينفصلا لولا أنه اكتشف كغيره من الرجال حقيقة ما كان يملكه بعد فقده، وظل عامًا كاملًا يحاول استعادة العلاقة حتى نجح ولكن الأم أصبحت أقوى الآن.

- «خلاص هننتظر رأى بنتنا فى وائل، وإن شاء الله خير».

- «كلك ذوق حضرتك وإن شاء الله نشوف رأى البنت ونتكلم».

غادر وائل وترك والده متجهًا إلى القهوة محملًا بلا مبالاة ونشوة إضحاك إحداهن.

لم يتوقف شريف عن الكتابة، والصمت يخيم على المكان حوله، وتوالت الأحرف سريعًا عندما بدأ فى الكتابة عن ياسمين.

توقفت ياسمين عن الضحك وأغلقت المكاملة سريعًا بمجرد أن فتحت باب الشقة، وهى تستمتع إلى صوت آهات مكتومة، توجهت مباشرة إلى غرفة أختها ولكن الغرفة كانت فارغة، والصوت يخرج من حجرة والدتها، نظرت خلسة

داخل الغرفة وهى تضع يديها على فمها خشية أن يخرج منها صوت، كاد قلبها أن ينفجر من نبضاته المتلاحقة، وهى ترى رجلًا عاريًا لم تكن المرة الأولى التى ترى فيها رجلًا بهذه الصورة، ولكنها كانت المرة الأولى التى ترى فيها والدتها عارية تمامًا، وكلماتها التى ظلت تلقنها لها طوال حياتها، "حافظى على نفسك"، توقفت أنفاسها وهى ترى أمها تتلوى تحت هذا الرجل، وهو لا يتوقف عن التهامها، لم يخرج منها صوت ولكن خرجت دموع من عينيها، امتزجت مع ضحكات أمها وصوت هذا الرجل: "أنا ماكنتش عارف إنك جامدة كده"، والأم ترد تحت تهديد جسده: "وأنا كان واحشنى الاحساس ده قوى"، خرجت ياسمين من الشقة واتصلت بعماد.

- "أنت فين؟"

- "أنا فى البيت".

- "فى حد معاك؟"

- "لا، أنا لوحدى".

- "طيب أنا جايه أبات عندك".

***

تركت حبيبة الغرفة لدقائق وعادت فى يديها بعض السندويتشات ولكن قبل أن تضعها أمامه.

- "حلمى هو أنت مش قلت انهم مش أصحاب؟"

- "اه".

- «طب أنت ليه بتستخدم نفس الأسماء، ليه ماتغيرهمش؟»

- «عشان عمر الأسماء ما كانت مهمة».

وضعت أمامه ساندوتش وكوبًا من العصير.

- «أنا عرفاك يا حلمى وعارفة إنى مش هاوصل لتفكيرك بس هاحاول».

ابتسم حلمى.

- «أنت دماغك أكبر منى بكثير».

- «طب سؤال كمان، هم كل واحد فيهم كان عنده نوع واحد من الحب؟»

- «كل واحد فيهم مر بكل أنواع الحب، حب القلب ،والعقل، والروح إلا عماد وياسمين».

- «قصدك الاثنين اللى مش مضبوطين دول؟»

- «اه».

- «ازاى بقى؟»

- «النوع ده بيكون عايز يعيش الحب بكل أنواعه، رومانسى لدرجة إنه بيخاف حد يشوفه كده، عشان دى أضعف نقطة وشهوانى لدرجة أن الشهوة بتتحكم فيه، هو أكيد مش مبرر لتصرفاتهم بس هم عايزين يحبوا بكل تفاصيلهم يحبوا بقلبهم وروحهم، بيحبوا بكيانهم بس تعرفى أن الجزء الوحيد اللى استخدموه قدام الناس فى الحب كان عقلهم، عشان كده كل علاقاتهم اللى كانت فى النور فشلت.

***

قارب العام الدراسى ٢٠٢٠-٢٠٢٥ على الانتهاء، وإن كانت لقاءاتهم قليلة ولكن مستمرة، حافظوا على صداقاتهم ولكن كان جميعهم فى مرحلة التغيير، فى نفس الغرفة التى التقين فيها لسنوات، كانت غادة تحاول تشغيل أسطوانة مدمجة كتب عليها أجمل أغانى التسعينات، قطعت محاولاتها ياسمين.

- "سيبك من البتاع ده دلوقتى، الكحل الأسود ده حلو؟"

نظرت غادة إليها.

- "ياسمين الاسود مبقاش موضة، الموضة دلوقتى الكحل الألوان والرموش كمان".

التفتت غادة على صوت هبة التى أغلقت للتو مكالمة مع عماد.

- "أش، أش، أش، وبنتكلم فى الموضة كمان".

أخرجت ياسمين لسانها لهبة وهى تقول:

- "خليكى أنت متابعة عماد وسيبينا نتابع احنا الموضة".

وقفت غادة بثقة لم تكن تعهدها من قبل فى هذه الغرفة، وكادت أن تتحدث ولكن قاطعتها مها:

- "حلاوتك يا غادة يا جامد، بس هو أنا مش متابعة الموضة، كده أنا ابقى ايه؟"

جلست ياسمين على قدم مها.

- «تصدقى بلبسك ده تنفعى تبقى صاحبى».

أزاحت مها قدمها فسقطت ياسمين على الأرض.

- «ياله يا بت يا قليلة الأدب، صاحبك ولا صاحبتك».

ضحكت هبة بصوت مرتفع.

- «ايه يا ياسمين أنت بقى ليكى فى كله؟»

نظرت إليهم ياسمين.

- «الله يخرب بيتكم، بت يا غادة احط الروج الأحمر».

- «بقولك ايه، اقعدى أنا هاعمل لك المكياج اقعدى».

كانت هبة تنظر باستغراب إلى التغيير الذى طرأ على غادة، ومها تمارس عادتها فى تحويل كل شىء إلى سخرية وهى تقول:

- «الله عليكى يا غادة يا كايداهم».

رحلت مها وهبة وبقيت غادة وهى تضع المكياج على وجه ياسمين، باتت العلاقة بينهما أقرب، اهتمامات غادة وياسمين أصبحت متشابهة، انتهت غادة وجلست على السرير.

- «بقولك ايه يا ياسمين ما تشغلى اى حاجة».

- «مالك مش عجبانى».

- «مافيش».

- «انجزى، بلاش تحوير».

- «شريف».

- «الواد اللى لازق لك ده؟»

- «مش لازق، احنا أصحاب جدًا».

جلست ياسمين جانبها.

- «طيب ماله صاحبك جدًا ده؟»

- «قال لى إنه بيحبنى».

- «يا فرج الله، أخيرًا».

- «قصدك ايه؟»

توجهت ياسمين أمام المرآة وهى تحاول شد حامل صدرها على أضيق وضع له.

- «أنت يا بت مش عايزة حد يحبك وتحبيه».

- «ما هو أنا ... بحب حد تانى ... أسمه وائل».

- «عملتى ايه مع سى وائل ده ولا حاجة، صح؟»

- «صح».

- «يبقى جربى».

- «لا ما هو أنا قلت له إنى مش بحبه».

- «أنت هبلة، ما تجربى، حب ايه!»

ضمت قدمها إلى صدرها واحتضنتها.

- «مش بحبه يا ياسمين، شريف زى أخويا عمرى ما تخيلت نفسى وهو ماسك ايديا أو حاطة راسى على كتفه، لا، لا، مش بحبه».

- «يا عبيطة جربى».

- «هاخسر الحلم اللى طول عمرى حلمت بيه».

- «هتعيشى وتموتى هبلة».

- «شريف محترم وجدع».

نظرت ياسمين إلى غادة وهى تحدث نفسها: «أنا طول عمرى نفسى اصاحب حد محترم، ولما حبيت واحد مش عايز يعبرنى»، قطعت غادة تفكيرها.

- «روحتى فين؟»

- «لا مافيش، أنت وراكى حاجة».

- «لا، أنا كنت بجرب بس الميكب اب الجديد».

- «طيب هبات معاكى».

- «باتى».

رفعت غادة سماعة التليفون لتخبر والدتها أنها ستقضى ليلتها مع ياسمين.

***

وقف شريف منتظرًا بقيتهم قبل صلاة الجمعة عند مسجد قريب من صالة البلياردو التى جمعتهم كثيرًا، اعتادوا اللقاء فى هذا التوقيت حرصًا منهم على إبقاء علاقتهم مستمرة، كان أول من وصل خالد أشعل سيجارة ونظر إلى شريف.

– «ايه اللى فى ايدك ده؟»

ابتسم شريف ابتسامة ثقة.

– «أنا جبت هارد جديد».

– «حطيت عليه حاجة؟»

– «حطيت طبعًا، بس مش عايز يتملى دول ٢٠ جيجا».

– «يا ابن اللعيبة، فى أفلام؟»

– «لسه جايب شوية امبارح».

وصل وائل على حديث الأفلام.

– «لا ماتقولش إنك جبت أفلام جديدة».

احتضن شريف الهارد.

– «اه، فيه فيلم بتاع الممرضات اللى أنت كنت هتموت عليه».

– «حلاوتك يا شريف يا مظبطنا».

حاول وائل أن يطبع قبلة على وجه شريف فى لحظة وصول عماد.

- «فى ايه مالكم؟»

نظر وائل إليه.

- «لا مالكش دعوة أنت بتطبق عملى».

ابتسم عماد ابتسامة لم يعلم وقتها هل كانت غرور أم ثقة أو ربما ندم، قاطعهم خالد:

- «يلا نصلى ونروح على القهوة».

ما أن انتهت الصلاة إلا واتجه شريف إلى خالد ليسيرا بعيدًا عن وائل وعماد.

- «عامل ايه مع مها؟»

- «كويس».

- «قلت لحد ولا لسه؟»

- «رافضة أى حد يعرف أنا مش عارف ليه! أنا بفكر اروح اقول لعمى واخلص الموضوع بقى».

- «يمكن عايزة تستنى لما تخلص الكلية».

- «مش عارف لها حاجة، أنت ايه اخبار البت اللى بتحبها دى؟»

- «لا خلاص فكك».

- «ازاى يعنى؟»

- «يا عم فكك أنا مش بتاع الكلام ده».

على الجانب الآخر كان عماد يتحدث مع وائل:

- «أنت يا وائل مش هتصاحب، ياد ده أنت خرجت معايا مليون مرة ومافيش مرة شبكت».

- «أنا ماينفعش اصاحب يا عماد».

- «ليه إن شاء الله!»

- «عشان هابقى زى زيها».

- «أنت مخبى علينا حاجة ولا ايه؟»

قالها وهو يشير بأحد أصابعه، قاطعه وائل بسباب:

- «لا يا اهبل، قصدى إن ابويا قرفنى فى موضوع المواعيد، تخيل بقى هى تكون بتعرف تخرج أو تطلب منى نخرج، واقولها اصل ابويا محرج عليه، فبلاش قلة قيمة لحد ما أشوف للرجل ده حل».

- «والله أنت اللى عامل فى نفسك كده، هى مرة واحدة اعمل فيها اللى أنت عايزه وواجهه ونخلص».

- «بخاف يا عماد، بخاف ومش عارف ايه السبب!»

- «ايه هيموتك يعنى؟»

– "لا مش الفكرة، هو عمره ما ضربنى بس مش عارف ليه الخوف ده، كان نفسى اكون باسمع كلامه عشان بحبه مثلا أو احترام أو حتى عشان ابويا، بس كل ده بخ مش موجود، ماعنديش احساس قصاده غير الخوف".

– "ياد أنت هتتخرج خلاص ولسه بتخاف؟!"

– "ماعرفش بقى".

كان مقهى الصعيدى على بعد دقائق ما أن وصلوا حتى نادى عماد على سيد:

– "يا سيد هات حتة امسح الطرابيزة، وهات دستة "كوتشينة" وورقة وقلم".

***

(حلمى وحبيبة)

حلمى هو جزء من روايتهم هو صديقهم جميعًا، الصديق الذى فُقد فى شركاء حياتهم هو حلم السعادة، هو لحظة المتعة ونحن نزيح هومهمنا عن كواهلنا، هو الصديق الذى ربما نصحنا بنصيحة غيرت مسار حياتنا، أنا حلمى ولكن لم يكن حلمى يومًا أنا.

تزوج حلمى من حبيبة بعقله فى لقاء عائلى وتعارف أشبه للصورة المعتادة من جواز الصالونات، لم تلفت حبيبة نظر حلمى ولا العكس لم تشعر حبيبة وقتها أنه من الممكن أن يشاركها العمر، ولكن كانت المعادلة حسابية بين الأسرتين، ولم تتطور العلاقة بينهما ما قبل الزواج، حتى أن المرة الأولى التى يداعب فيها حبيبة كانت بعد زفافهم، كانت زيجة تقليدية مرت أيامها الأولى بدفعة من متعة الاكتشاف وبدا أنهما فى حالة حب، ومع الوقت انتهت المتع

حتى متعة الاختلاف فُقدت، أصبحا اثنين لا يجمعهما سوى سرير فى لحظات التنفيس عن رغبات مكبوتة، مرات ليفرغ شهوته وأخرى لتشعر أنها لا زالت أنثى، انفصل عالم كل منهما عن الآخر، هو يقارن جميع نساء الأرض بها وهى تشك أنه يحب أخرى، ظل يقارنها بأخريات وظلت تندم على الزواج منه.

بعد سنوات ليست كثيرة من زواجهما دار هذا الحوار قبل نومهما، حاول حلمى مداعبة حبيبة قبل النوم ولكنها دون سابق إنذار أزاحت يده وأنارت الغرفة ونظرت إلى حلمى.

– «أنا عايز أقول لك حاجة».

– «خير».

– «ماتيجى نطلق وكفاية كدب؟»

– «نطلق، أنت عمرك ماجبتى سيرة الطلاق، وجاية تطلبى الطلاق دلوقتى ازاى يعنى؟»

– «عشان أنت هتطلقنى».

– «لا طبعًا!! مافيش بينا أى مشاكل».

– «بلاش نكدب على نفسنا».

– «نكدب فى ايه بس؟!»

– «حلمى أنا وأنت أتجوزنا بمعادلة حسابية واحنا عارفين ده، حسبناها كويس بس تعرف بعد سنين جوازنا دى اكتشفت أن الجواز مالوش حسبة، مالوش

أرقام ثابتة نحطها على ورق عشان نضمن إننا نكون مبسوطين، أنت مش مبسوط معايا».

- «ماتقوليش حاجة على لسانى».

- «لا أنت مش مبسوط، عشان أنا بشوف حزنك مع كل واحدة بتبص عليها».

- «تانى موضوع الخيانة وإنى اعرف بنات؟»

- «ممكن الخيانة تكون بالعقل، واحنا اتجوزنا بعقلنا مش بقلبنا، فامينفعش اعيش معاك والحاجة الوحيدة اللى بيننا مش موجودة».

- «هو أنت جايبة الكلام ده منين؟»

- «تانى، اقول تانى، الحسبة طلعت غلط، وأنا بشوف حزنك فى كل واحدة بتشوفها، وبشوف حزنك ولمعة عينيك وأنت قاعد لوحدك، يمكن أكون غلط بس ده اللى أنا حساه».

ترك حلمى الغرفة غاضبًا وهو يردد:

- «أنا مش عارف هاخلص من الجنان ده أمتى؟ مش عارف ارضيكى ازاى؟»

وقفت حبيبة على باب الغرفة.

- «اللى بيحب حد بيعرف يرضيه ازاى، أنا قدام اختيار من اتنين نكمل عشان شوية حاجات أو نسيب بعض ونكمل بعاد عن بعض ويبقى لينا حياة».

٧

تفاصيل

"بعيش"

تامر حسنى

ألبوم عينيا بتحبك – ٢٠٠٦

النسيان هو أقصى مراحل الألم.

بعد انتهاء المرحلة الجامعية،

الساعة الواحدة صباحًا، رن هاتف شريف المحمول.

- «الو مين؟»

- «عايز اشوفك دلوقتى».

- «فى ايه يا خالد مالك؟»

- «هاعدى عليك نلف بالعربية شوية».

- «يا ابن الجزمة الساعة ١ ».

- «هتنزل ولا لا؟»

- «هاقوم البس، أنت فين؟»

- «أنا تحت البيت مستنيك».

مرت عشر دقائق كانت كافية أن تثير أعصاب خالد.

- «ايه يا شريف كل ده؟ بقولك عايز أتكلم».

غضب لم يعهده من خالد.

- «فى ايه يا عم أنت! هم عشر دقائق».

نظر شريف لخالد فى مدة زمنية أقل من الثانية أدرك أن هناك كارثة.

– «مالك؟»

– «أنا هاسيب مها».

– «أنت أهبل ولا مجنون ولا شارب الخرى اللى بتشربوه ده؟»

– «مش بهرج، أنا هاسيب مها».

– «أزاى؟»

– «هاسيبها، يعنى هاسيبها».

– «وهى عرفت؟»

– «لا».

نظر شريف من شباك السيارة،

– «طيب مدام بتعيط كده يبقى بلاش جنان».

– «بحبها بجنون يا شريف بس مش متخيلها تكون مراتى».

– «لا جنان مش عايز، أنت مش كنت بتقولى إنك بتعمل المستحيل عشان تتجوزها».

– «اه».

– «ايه اللى حصل؟»

- «لقيتها مش مناسبة».

- «يا سلام فجأة كده لقيتها مش مناسبة، بعد اكتر من عشر سنين حسيت إنها مش مناسبة؟»

- «مش هتفهم».

- «ليه شايفنى غبى، أنت لقيت شغلانة كويسة ومستويات أعلى طبعًا، وسوق بالراحة هتموتنا».

- «ششششششش، بلاش عبط هو ايه اللى مستويات؟!»

- «امال ايه؟»

- «قابلت واحدة تانية».

وضع شريف يده على جبهته.

- «قول كده».

- «واحدة معايا فى الشغل فيها كل حاجة حلمت بيها فى بنت».

- «كل حاجة حلمت بيها فى بنت!! ومها كانت ايه؟»

فرمل خالد بقوة ونظر بغضب إلى شريف،

- «مها ماحلمتش بيها، مها كبرت جوه قلبى، مها ماخترتهاش اللى اختارها قلبى وأنا كنت صغير، مها كبرت جواه كبرت كثير وعارف إنى هتوجع».

ارتفع صوت شريف أكثر،

- «أنت بتقتل نفسك يا خالد فوق، دى مش حاجة لازم تكسبها، مش لازم تبقى على الشعرة زى كل حاجة تانية».

- «أنا هاسيب مها وهاتجوز ياسمين يا شريف ده قرار».

- «ياسمين!! مش عارف ليه حتى الاسم مش لايق عليك يا اخى».

- «شريف أنا رايح بكره أتقدم».

- «ده أنت واخد القرار طب بتكلمنى ليه؟»

أشعل شريف سيجارة بينما أخذ خالد سيجارة وداعبها بين أصابعه منذ فترة كان قد أقلع عن التدخين بسبب مها ولكنه وضعها فى فمه.

- «تعرف يا خالد لما حبيت غادة، البنت اللى رفضتنى دى، كنت مستعد أعمل المستحيل عشان توافق، كنت مستعد إنى اتذل قدمها»، أخذ نفس من السيجارة وأكمل: «هو أنا فعلًا اتذليت وكنت مستعد لأى نوع من أنواع التضحية عشان ترضى، ولما رفضت تعبت وتعبت جامد قوى، بس عشان ماكانش بيننا حب يوم بعد يوم عرفت اعيش، بس فى حالتك دى بقى أنت هتموت، عشان مها كبرت جوه قلبك والحل الوحيد أن قلبك يفضل عايش هو إنك تفضل مع مها».

- «أنا اخدت القرار وسيبك من الروايات اللى أنت عايش فيها».

- «ما أنا عارف إنك اخدت القرار، بس أنا بقول لك عشان فى يوم هافكرك ولو تحب اكلم مها».

- «لا، هى هاتعرف لوحدها».

***

– «حلمى هو لو كان خالد و مها اتجوزا تفتكر كانوا هايعيشوا مبسوطين؟»

– «مافيش قاعدة ثابتة يا حبيبة، بس على الأقل كان زمان قلبهم لسه عايش».

– «تفتكر؟!»

***

نامت ياسمين على الشيزلونج ولكن حلمى لم يهتم بهذه المنحنيات التى ظهرت،

– «ياسمين أنا عايز اشوفِك مبسوطة».

– «صعب يا حلمى تشوفنى مبسوطة عشان الذكريات بتوجع».

– «أنت ممكن تنسى الذكريات بس بشوية خطوات صعبة».

– «مش هاقدر».

نظر حلمى إلى الحائط فى اتجاه إحدى شهاداته.

– «ابدئى أنت بس».

– «حلمى، الذكريات بتوجع وبتسيب جوانا علامات مابتتنسيش».

– «لو عشتِ الحاضر هتنسى الماضى».

– «ولو عشنا ألف حاضر مش هننسى، الألم اللى جويا سببه إنى بحاول أنسى

ومش هيحصل، مش هانسى".

وميض المؤشر على شاشة الحاسب الآلى يتوحد مع دقات قلبها وجفنى عينيها ونقر أصابعها على الطاولة، ياسمين لا تعلم كيف تحولت إلى هذا الكائن الأنانى، أخذت نفس من سيجارتها ثم بدأت فى الكتابة.

***

جلس شريف يتابع تدفق زملائنا فى العمل منتظرًا قدومى، لم يستطع رؤيتى طوال أسبوعين، الفترة التى قضيتها مع أمى فى المستشفى، تحملت مسؤوليتها بعد زواج أختى وغفرت لها المشهد الذى علق بذهنى لسنوات وهى بين أحضان رجل غريب، وزرعت مبررات واهية داخل عقلى لتقبل فعلتها، حتى وصلت إلى قناعة أنها لم تكن مخطئة، تركها أبى وهى أنثى وكانت أنوثتها تصرخ كل ليلة منفردة، أنا لا أمتلك الحكم على أحد ولا حتى على أمى، فى تلك الفترة فقدت اهتمامى بنفسى وازداد وزنى بشكل ملحوظ، ومع غياب هذا الأب والذى تتلخص علاقته بى باسم مكتوب بعد اسمى فى البطاقة، تحملت وحدى الحفاظ على مستوى أسرتى المادى، والذى حافظت عليه أمى لسنوات، ولكن مرضها منعها من الاستمرار فكان على أن أحمل هذه الراية.

فى أول حياتى المهنية كنت ما أزال أتمتع بإغراء حافظت عليه سنوات عمرى، وعلىّ أن أعترف أننى استخدمته لأصل إلى ما أريد، هذا السلاح الذى نجح لسنوات، أصبح لى راتب كبير ليس لكفاءتى الوظيفية فحسب، ولكن أيضًا لكفاءتى كأنثى أعلم نقاط ضعف الرجال، ومع مرور الوقت أصبحت ما كنت عليه فى تلك الفترة وفقدت جسدى وأصبحت بدينة، شريف كان الوحيد الذى استطاع أن يرى ملامح شخصية واريتها لسنوات خلف جسد أنثوى صارخ،

لم يهتم بالوزن أو يعقب على شكلى، كان اهتمامه مُنصبًا على شخصى وشخصى فقط، والحقيقة مع افتقادى للمشاعر وافتقادى للنظرة التى لم أعد أراها فى أعين الرجال؛ لم أنظر إلى الفوارق المادية أو الفكرية بيننا، ولكن كان هناك إصرار من جانبى أن تبقى العلاقة فى الخفاء دون تحديد موعد للإعلان عنها، حاول شريف كثيرًا أن يخفى مشاعره أمام زملائنا، كان ينجح أحيانًا ويفشل كثيرًا ولكن بمجرد أن وصلت توجه إلى، ولكن سبقه عماد صديقى القديم وإن تخطينا حدود الصداقة أحيانًا عندما كنت فى كامل لياقتى، نظرت إليه مشيرة أن ينتظر حتى لا تُفضح مشاعره أمامه، لم يكن عماد وشريف سوى زملين يجمعهما نفس المبنى، رحل عماد بعد نصف ساعة كاملة.

- «ايه هو كان بيعمل ايه كل ده؟؟»

- «قصدك عماد !! احنا اصحاب من زمان ما أنت عارف، فى ايه؟!»

- «مافيش بس عايز اكلمك، وحشتينى دول أسبوعين».

- «معلش والله غصب عنى».

- «طنط اخبارها ايه؟»

- «تعبانة».

- «طيب ممكن اجى ازورها النهارده؟»

- «تنور أى وقت، بس ماتفتحش أى مواضيع».

- «و ده ظرف حد يتكلم فيهماينفعش».

شريف يجعلنى ابتسم وأتحول معه إلى شخصية لا أعرفها وإن كنت أستمتع بها، رغم اختلاف فترة مراهقتنا، واختلاف طباعنا لكن شريف بفطرته استطاع أن يأخذنى إلى موضع لم أعتد عليه، أشعر فيه أن لى روح وجمال داخلى أو بالأصح أشعر أننى شخصية محترمة، دائمًا ما كان شريف جانبى رهن إشارتى يلبى قبل أن أتمنى، على أن أعترف أننى أحببته، ولكن ذلك لم يكن يكفينى، أنا لم أعتد على المشاعر فقط، أنا امرأة كاملة وهو بعيد كل البعد عن كمالى، ولكنى حاولت أن أعطيه ما أستطيع.

- «شريف أنا هاقدم فى شركة جديدة».

- «ليه يا بنتى؟»

- «وهقدم لك معايا، أنا معايا ال CV وهابعته».

- «كمان؟!»

لم يكن متحمسًا للفكرة وكان واضحًا جدًا أثناء المقابلة عدم اهتمامه وتم رفضه وقبولى، كانت لحظة فارقة فى حياتى أنا، وخالد، ومها، وشريف.

***

كانت اللحظة التى قرر فيها خالد أن أولويته فى الحب نابعة من عقله، وأن عليه التنازل عن حب قلبه، وكانت تلك اللحظة هى لحظة تنازله عن الحياة مقابل المادة.

- «حلمى هو ياسمين وخالد اتجوزوا؟»

- «للأسف».

– «ازاى! ده بيحب مها، أنا حسيت بالحب ده لما راح لها أول مرة عند المدرسة واعترف بحبه».

– «ما هو حب القلب مش كل حاجة».

– «طب، هو شريف وخالد مش أصحاب. ازاى شريف بيحب ياسمين وخالد اتجوزها؟»

– «انسى الأسامى، انسيها».

– «طيب».

– «خالد وياسمين هم جزء العقل فى دفتر الملاحظات ده، الاثنين اتجوزا بعقلهم وكانوا عايزين جوازهم ينجح بقلبهم».

***

أشعلت ياسمين سيجارة واستمرت فى الكتابة،

لم تسمع مها عنه منذ أكثر من شهر، هى المرة الأولى التى يغيب فيها كل تلك الفترة، حتى أن آخر لقاء عائلى لم يتواجد فيه، بدأ القلق يقترب من تلك المنطقة بين الثقة والشك، ولكن ظل قلبها يؤكد استحالة ما يدور فى عقلها، إلى أن كانت المكالمة التى فقدت بعدها مشاعرها.

– «ألف ألف مبروك يا أبو خالد، الواد خالد راجل ويستاهل كل خير».

تابعت المكالمة بكامل حواسها وهى تحاول أن تحللها، هل وفق فى الحصول على تأشيرة للولايات المتحدة! هل خاف أن يخبرنى لأنه يعلم برفضى للفكرة!

هل قدم دون علمى! ألف سؤال بدأ يتسرب ولاحظت والدتها كم الذهول فى عينيها حين قررت أن تقطع هذا الشك باليقين.

- «خير ماله خالد؟»

- «الواد خالد خطب».

صمتت الأم للحظات ثم رددت:

- «خالد هيتجوز! هو خالد هيتجوز؟»

نظرت مها إلى والدها وحاولت رسم ابتسامة وهى تخفى دموعها وتحاول أن تسيطر على قشعريرة تسرى فى جسدها.

- «بجد يا بابا هو خالد هيتجوز؟»

نظر الأب إلى وجهها وهو يحاول أن يفهم هذا التعبير.

- «اه، عمك لسه قايل لى أن فرحه كمان شهر، هم لبسوا الدبل من أسبوع».

بصوت مخنوق وهى تضغط على شفتيها وتحاول احتضان نفسها بيديها.

- «من أسبوع، مبروك».

توجهت مها إلى غرفتها، لم تستطع الأم النظر إلى عينيها، حاولت فقط احتضانها، حاولت أن تعطيها دفء مشاعر، بعد أن بات جسدها ينتفض من برودة الموقف، تمنت أن تراها تبكى أو تصرخ، أغلقت الباب ولكنها كتمت مشاعرها وتحولت ملامحها إلى ملامح أقرب للتماثيل النحاسية، مها لم يهتز لجفنها رمش، رفضت أن تبقى بين أحضان أمها حين توجهت إلى باب المنزل.

- «رايحة فين يا بنتى؟»

فتحت الباب ودون رد تركت المنزل، شعرت باحتياجها للهواء، للحظات ظنت أن حضن والدتها يخنقها أو يبقيها مغلولة، بقيت لساعات تتجول بين الطرقات وسؤال وحيد يتردد داخلها: «ليه يا خالد ليه؟ أنا عملت فيك ايه؟، ده أنا كسرت كل قواعدى عشانك، أنا رفضت الارتباط عشان ما اتكسرش، ليه يا خالد؟ أنا ماعملتش فيك حاجة وحشة ليه؟ ليه يا خالد؟ امتى يا خالد عرفتها؟ عرفتها وأنت معايا ليه؟!» لم يرد عليها سوى صوتها: «أنت اللى عملتى كده فى نفسك لما وافقتى»، وبدأ حوار بينها وبين نفسها.

- «أنا بفكر اكلمه».

- «لا طبعًا، هتكلميه ليه إن شاء الله الكلب ده؟»

- «بس هو مش كلب وأنا بحبه والله بحبه».

- «ده راح خطب، ده باعك».

- «عايزة أعرف أنا غلطت فى ايه!»

- «بتلومى نفسك ازاى يا مجنونة أنت؟ ده أنت كنت قايد له صوابعك شمع، ده كلب وستين كلب كمان».

- «لا، اكيد كان فى حاجة غلط».

- «بطلى تلومى نفسك، بطلى».

- «أنا مصدومة والله، مصدومة هو عمل كده ليه! ده حتى ماقليش نسيب

بعض، ايه احساس العجز اللى أنا فيه ده؟ ليه مغلولة كده؟ طب اروح له؟ اشتمه؟ اضربه أو اتف فى خلقته؟"

– "بطلى اجمدى بقى، ده مش راجل ولو راجل بجد كان على الاقل قال لك نسيب بعض، مش راجل، فاهمة، مش راجل".

ظلت تحدث نفسها لساعات ولم تجد سبب وحيد لفعلته، ظلت فى صراع نفسى حتى كان فرح خالد، واستمر الصراع فى الحضور من عدمه إلى أن جمعتهم عيناهم بعد انقطاع طويل، اندهشت مها من هذا الفرح الصاخب، لا يحب خالد هذه النوعية من الأفراح، اختفى اندهاشها وتوقف الصراع النفسى حين التقطت يدها وهى تسترد روحها من يده هذه المرة، وبابتسامة قوة أتت من ضعفها، مالت عليه حتى ظن البعض أنها تقبله

– "مش هسأل عملت كده ليه، بس أنا هنساك وأنت مش هتعرف تنسانى، والله العظيم مش هتنسانى".

لم يرد خالد إلا بابتسامة محاولًا إخفاء حسرة مكبوتة، فى دمعة رفض أن يطلق لها العنان، مالت مها على ياسمين لتقبلها.

– "خلى بالِك من خالد، ده اجدع واحد فى العائلة كلها".

تابع شريف المشهد وهو لا يدرى ماذا يفعل إلا أنه توجه لمها.

– "مها، أنا شريف فاكرانى؟"

– "اه، ازيك؟"

– "أنا آسف إنى ماقدرتش اغير قراره".

- "كويس إنك ماقدرتش".

فقدت مها اتزانها مع توالى الأحداث، لم تواجه هذا الكم من الفشل طوال حياتها ولم تكن ضعيفة، كان أقصى مراحل ألمها وهى تحاول أن تنسى خالد، لكن رغم شخصيتها المتفردة إلا أنها فقدت السيطرة على مشاعرها، ومع كل يوم مر كان يزداد انهيارها، ولم يكن هناك بديل إلا الموافقة على وائل.

- "يا بنتى بلاش تغلطى".

- "يا مامتى مش فارقة وأنا تعبانة قوى وعايزة اخرج من اللى أنا فيه".

- "ماينفعش تخرجى بعلاقة ثانية".

- "وائل شكلة كويس ودمه خفيف، ده مستنى ردى من فترة وأنا محتاجه حد زى كده يمكن اخرج يمكن انسى، أنا مش متخيلة يا ماما إنه مع واحدة ثانية دلوقتى والله مش مصدقة والله".

لم يكن هناك أحد يعلم بتلك العلاقة سوى مها وخالد ووالدتها، كانت مها تحتاج شخص تبكى له ولكن لسوء حظها إنه لم يكن هناك أحد تشتكى إليه.

أرسل والد مها بالموافقة لوالد وائل، وكانت الخطبة فى المنزل، كانت ملامحها تكتسى بانكسار حزين، تتابع الأحداث أرهقها فاشترطت أن الحضور يقتصر فقط على الأسرتين ودون الأصدقاء، اندهشت مها كثيرًا وهى ترى وائل صامت وبلا رأى فى لحظات الاتفاق ما قبل الفاتحة، لم يبد أى تعليق على والده، كانت مها تناقش والده بنفسها فى الوقت الذى كان يجلس كضيف، وحين انتهت الخطبة أخبرت والدها عن ضعف شخصيته، حاولت أن تخرج من العلاقة ولكن انكسارها كان أقوى فاستسلمت لرد والدها.

- «لا يا بنتى شخصيته مش ضعيفة، ما شاء الله الولد بيكبر باباه ولد متربى».

كشفت الأيام غير ذلك فى اللحظة التى طلب منها والد وائل أن يجلسا بمفردهما.

- «هو أنت ليه مش بتقعدى مع وائل لوحدكم؟ ده أنتم بحكم المتجوزين يا بنتى».

- «أنا آسفة يا عمو، بس ايه دخل حضرتك؟ وائل ماطلبش ده منى».

- «أنت إزاى تكلمينى كده؟»

- «اللى هو ازاى يعنى كده؟ هو وائل ماعندوش لسان يطلب؟ وائل المفروض جوزى هو اللى يطلب».

تابعت والدتها المكالمة.

- «أنت بتكلمى حماكى كده ليه؟»

- «مش هيبقى، ماتخافيش».

- «نعم، أنت قصدك ايه؟»

- «مش هكمل مع وائل ده».

- «يا بنتى أنت مكتوب كتابك».

- «مش فارقة، مافيش حاجة فارقة يا ماما».

صُدمت الأم بعد أن فقدت مها حياتها، وصُدمت مها من هذا التدخل، حاولت

الاتصال بوائل كثيرًا لتنهى العلاقة، إلى أن رد والده عليها:

– «أنتم بتتصلوا بوائل كثير ليه؟»

كان هذا السؤال ما طرحه والده على مها، ضعف وائل جعله يهرب من المواجهة ولكن كان لا بد للزيجة أن تنتهى، لم يفعل شىء سوى أنه وكّل والده لتطليقها ولم يؤثر فيه إلا اتصال من مها.

– «وائل ازيك؟»

– «ازيك يا مها؟»

– «مستغرب إنى بكلمك؟»

– «أنا مابقتش استغرب اى حاجة فى حياتى».

– « أنا عايز اقولك حاجة واحدة بس، الحمد لله إن احنا اطلقنا، عشان الراجل اللى مايعرفش يطلق لوحده، اكيد ماكانش هايعرف يتجوز لوحده».

– «عندك حق، يمكن فى يوم اقدر اعتذر لك».

– «مش عايزة اعتذار، أنا بس حبيت افهمك».

– «يمكن فى يوم أقدر أفهمك بس والله أنا مش وحش، بس أنا لا كان لى رأى فى الجواز ولا فى الطلاق».

توقفت ياسمين قليلًا عن الكتابة، ولم تتوقف دموعها حين أدركت أنها كانت سببا فى كثير من الآلام، لم تتوقف عن التهام سجائرها وهى تعاود الكتابة.

لم تكن هبة ترى سوى عماد فى حياتها، هبة كان لها تأثير كبير عليه، عماد كان قبلها شخصًا وبعدها شخص آخر، كانت تمتلكه وكان شابًا وسيمًا، كانت محظوظة به وكان محظوظ بعلاقتهما، تغير كل شىء حين رأتنى معه، وكأنثى تتبعت كل خيط حتى رأت ما غضت بصرها عنه، رسائل وبريد إلكترونى بينى أنا وعماد، هذا ما جعلها تواجهه بالحقيقة.

- «عماد مين ياسمين؟»

- «ياسمين مين؟»

- «أرجوك يا عماد رد على، مين ياسمين؟»

- «مالك يا هبة فى ايه؟»

حاولت جاهدَة ألا تبكى وهى تفرك يديها بقوة.

- «مين ياسمين يا عماد؟»

- «هبة، فى ايه يا حبيبتى؟»

- «ياسمين دى صاحبتك القديمة؟»

- «....».

- «بتكلمها من امتى؟»

توتر عماد ربما للمرة الأولى فى حياته.

- «....».

- «رد على».

- «دى اشتغلت معايا فى الشركة بالصدفة».

- «وبالنسبة للإيميلات اللى أنا قريتها دى ايه؟»

- «إيميلات ايه؟»

أخرجت من حقيبتها ورق مصور.

- «دى، عماد أنا فتحت الإيميل بتاعك، عرفت كلمة السر بسهولة قوى، وقرأت كل الرسائل بينكم وفيها رسائل حب ورسايل قلة أدب، وفيهم إيميل يا عماد بتقولها مش مهم هبة دلوقتى، أنا مش مهم أنا يا عماد؟ جالك قلب تقول أنا مش مهم؟»

- «يا هبة، أنا غلطت».

- «تعرف المشكلة فى ايه؟»

- «مين قال أن فى مشكلة؟»

- «ممكن تسمعنى من غير مقاطعة لو سمحت؟»

- «ايه الرسمية دى؟»

- «قلت لك اسكت واسمع».

- «حاضر».

لم تتمالك نفسها أكثر من هذا وتركت لدموعها المجال لترسم أكثر مشهد

حزين مر على عماد، وعلى هذا الكافيه الذى جمعهم لسنوات.

- «المشكلة بيننا إنك راسم لنفسك حلم معايا، حلم بس إنما أنا رسمت معاك حياة، رسمت حياتى معاك دلوقتى وقبل كده وبعد ٢٠ سنة ولحد أخر يوم فى عمرى، رسمت صورتى معاك وأنا كبيرة وعجوزة وحلفت إنى هاخليك دائمًا مبسوط، كنت أبص على اى اثنين متجوزين واقسم بينى وبين نفسى أن حياتى هتكون اسعد منهم كلهم، أنا عارفاك كويس أنا عشت مع حبك من ساعة لما كنت فى المدرسة، كبرت معاك وأنت كبرت جوايا وحبيت كل حاجة فيك، الوحش فيك قبل الحلو، أنا أول مرة افكر كده بس أنا كبرت يا حبيبى، واسمح لى أقولك يا حبيبى لاخر مرة».

حاول عماد أن يمسك يديها ولكنها سحبتها سريعًا.

- «طب مدام بتحبينى، ارجوكى سامحينى، غلطة».

- «للأسف المرة دى مختلفة، المرة دى أنت مشاعرك راحت لواحدة ثانية، أو عشان اكون صريحة مع نفسى أنت حبيت واحدة معايا، يمكن أنت كراجل تقدر تعمل ده بس أنت كنت مختلف، أنا كنت مؤمنة بيك قوى، أنا أول مرة فى حياتى من يوم ماعرفتك احس إنى روحى مش معايا، احس إنى مخنوقة ومخنوقة قوى كمان».

- «ممكن طلب».

- «للاسف لا عشان أنا اضعف من إنى أرفض لك طلب، أنا لسه ضعيفة بحبك ومش متخيلة حياتى من غيرك، لأنك ببساطة كنت حياتى».

- «أنا عمرى ما هاختار حد ولا..، بطلى عياط».

شاركها عماد دموعها.

- «اسكت وسيبنى اتكلم معاك للمرة الأخيرة، سيبنى أقول لك اللى أنت ماعرفتوش طول السنين الكثير اللى فاتت، ايوه أنا بحبك وايوه استنيت اليوم اللى تبوسنى فيه، كان نفسى ابوسك وأنا عارفة إنك بتبوس غيرى، وكان نفسى اكون فى حضنك، كنت بامنع نفسى عنك كل يوم، عشان مستنيه استمتع بحضنك فى الوقت اللى احس فيه بحبك بس واضح انها هتفضل أمنية، أنت النهارده بقيت حلم الطفولة وهاحاول ارسم حياتى من جديد، هاحاول».

- «هبة أنا،ماينفعش، ماينفعش تسيبينى، هبة أنت أنت، أنا مش عارف اقولك ايه!»

- «عماد ممكن ماتعيطش، عشان خاطرى».

- «طيب مش هاعمل كده تانى والله العظيم، بس بلاش يا حبيبتى بلاش».

- «تفتكر أن دى أول مرة اعرف حاجة واسامحك بعدها، لا يا عماد كان فيه بس دى كانت الأخيرة، لازم يبقى فيه محطة أخيرة نقف فيها، أو مرحلة نعديها، كنت مستنيه اننا نتجوز عشان نبدأ رحلة جديدة فى حياتنا بس شكل الموضوع مستحيل، على قد ما بحبك وبجنون يا عماد ولسه بحبك ومش عارفة هابطل امتى احبك، بس خلاص مش هينفع».

- «هبة، هانتحر».

- «وتفتكر أنا عايشة، أنا انتحرت لما قررت إنى اسيبك».

- «بحبِك».

- «وأنا بحبك بس مش بإيدى والله».

- «أنا هاروح اطلبك دلوقتى من باباكى».

- «هارفض يا عماد، ارجوك بقى كفاية لحد كده، كفاية».

توقفت ياسمين قليلًا عن الكتابة لتهدأ قليلًا وعاودت بعد أن شربت فنجان قهوة.

صدمة عماد لا تختلف كثيرًا عن صدمة غادة بعد أن صدت شريف، بعد فترة التقت بشريف صدفة وهو يجلس معى، لم تكن غادة ارتبطت حتى ذلك الوقت، ولم تتردد كثيرًا وهى تتوجه إليه.

نظرت غادة باندهاش.

- «شريف ازيك؟»

نظر شريف فى ذهول لغادة وتذكر لقائهما الأخير.

- «غادة احنا مش أصحاب زى ما أنت قلتى؟»

- «طبعًا يا شريف أنت اللى بعدت».

- «مش مهم بعدت ولا لا، المهم شكلك بقى وحش قوى، خلى بالك على منظرك».

- «أنت بتقول ايه؟»

- «غادة الموضوع باين قوى وأنت بتجرى وراه».

- «ورا مين؟!»

- «غادة، كل أصحابنا بيترقوا عليكِ من ضهرك، عشان الولد اللى اسمه وائل، وأنت بتحاولى تكونى معاه على طول، وبتجرى وراه».

- «شريف، مافيش حد بيحب حد يقول له الكلام ده!»

- «أنا خايف عليكِ».

- «شريف أنت مش فاهم، أرجوك المرة دى ياريت مانتكلمش تانى خالص».

توقف وميض المؤشر قليلًا، وفتحت ياسمين علبة سجائر جديدة وخلعت أخر ما ترتديه، ولم يتبق سوى ملابسها الداخلية، وعادت للكتابة.

عاد شريف سريعًا إلى أرض الواقع، لم يقف وإنما اكتفى برد التحية، ثم وجه نظره إلى.

- «ياسمين، خطيبتى».

لا أعلم لماذا وصفنى شريف بخطيبته رغم أن اللقاء كان لأخبره بغير ذلك، كانت الصدمة الثانية التى يتعرض لها حين أخبرته أننى سأتزوج، صدمة كانت كافية أن يستعيد معها حزن علاقته بغادة، دون سابق إنذار أنهيت علاقة الحب الوحيدة التى عشتها بصدق، لكن المدهش إنه رغم صدمته قرر أنه لن يكرر خطأه حين ترك غادة ترحل، ولم ييأس ظل يحاول أن يثنينى عن قرارى، ومارس كل أساليب الضغط على، ظل يلح، حاول جاهدًا أن يعيدنى إليه لكنى رفضت كل محاولاته، لم يكن شريف يدرك أن طموحى لا يتوقف، لم يدرك أننى لم أكن مستعدة أن أخسر حلمى بالارتباط برجل وسيم وطموح،

أنا ياسمين رجال كثر توقفوا أمام أنوثتى، ولم أكن لأقبل أن تنتهى حياتى مع شريف، وعلى الرغم من كل هذا، كان داخلى صراع كبير بين زواجى وشريف الذى لم يجد مبررًا لإصرارى على الزواج، إلى أن تبقت أيام على زفافى.

- «أنت بتتصلى ليه دلوقتى؟»

- «أنا تعبانة يا شريف وخايفة».

- «بلاش تتجوزى خالد ده، بلاش ومش عايز اتجوزك، بس بلاش».

- «مش هاينفع».

- «ليه؟»

- «مش هاينفع، شكل بابا وماما هيكون وحش قدام العائلة».

- «بابا! أنت من أمتى بتهتمى ببابا؟»

- «ده برده أبويا».

- «ياسمين أنا مستعد أتجوزك دلوقتى حالا، وأفتكرى كلامى ده، اللى أنت بتعمليه ده غلط، وغلط كبير قوى».

***

- «هو أنا ليه حاسة يا حلمى أن فيه تفاصيل ناقصة؟»

- «تفاصيل!! زى ايه؟»

- «يعنى ليه خالد ساب مها؟ وليه ياسمين سابت شريف؟»

– «عشان هم نفسهم ماكنوش عارفين هم بيعملوا كده ليه، لو كانوا فكروا ماكنوش عاملوا كده، فى ناس بتخاف لما يكون الحب أكبر منهم، خالد وياسمين الحب كان أكبر منهم بكثير».

***

توقفت ياسمين عن الكتابة، توجهت إلى غرفة ملابسها ونظرت إلى الجزء الخاص بفساتينها، بحثت عن أكثرهم إغراءً، فستان وردى اللون فوق الركبة بقليل، يكشف عن نصف ظهرها وساعد فى تجسيد انحناءات حافظت عليها بعد أن فقدت وزنها، ارتدت تالون ووضعت حول رقبتها سلسلة ذهبية لتزين ظهرها، ولم تنس أن ترتدى أخرى لتعلن عن التقاء نهديها، وقفت أمام المرآة لتستعيد ثقتها وعادت للكتابة وهى فى كامل زينتها.

– «أنت كنت فين يا حلمى وأنا باختار؟»

– «أنت ماديتش فرصة لحد إنه يساعدك».

– «لا واضح إنك مش فاكر، أنت كنت بتبعد بينى وبينه، تحب افكرك فاكر الحوار ده؟»

عادت ياسمين وحلمى بذاكرتهما.

– «الو، حلمى، أنت فى الشغل ولا فين؟»

– «لا أنا قاعد على البحر باخد تان».

– «يا سخيف».

- «ما هو ده مش سؤال برده، قاعد شغال».

- «ممكن طلب».

- «ياسمين، أنا عارف أنت عايزة ايه، شريف كويس».

- «والله مش بحبه خلاص، بس صعبان علي وندمانة إني سبته».

- «تعرفي أنت سألتيني السؤال ده كام مرة؟»

- «عارفة».

- «طيب والإجابة بتكون ايه؟»

- «لازم نتحمل نتائج اختياراتنا ونتقبل البدائل، مش قادرة اتقبل، ده أنت مش متخيل خالد بيعاملني ازاي؟»

- «ياسمين كونك متجوزة يمنع يكون عندك علاقة تانية».

رغم زواجي من خالد ومرور وقت طويل إلا أنني أفتقد بشدة لمشاعري مع شريف، اتخذت قرار السيطرة عليه من جديد، استطعت أن أؤثر سريعًا عليه، حتى نسي أنني متزوجة أقنعته أن الطلاق قريب لا محالة، وبدأ شريف الاستعداد للمواجهة، فبمجرد أن أُطلق سيتزوجني، كان سيفعلها من قبل ويتزوجني دون علم أحد، شريف جريء في حبه ليّ ولكن ظل حلمي عائق بيننا وحاول بشتى الطرق.

- «حلمي أنا لسه بحب شريف ومش قادرة اعيش من غيره».

- «اطلقي الأول يا ياسمين».

- «تفتكر لو اطلقت، شريف يستاهل واحدة زيي؟»

- «مالك أنت؟ واحدة غلطتى فى اختيار ومش معناه انها اخر الحياة بس لازم تطلقى».

- «شريف انضف منى بكثير وأنا ما استاهلش واحد زيه».

لم يقف حلمى عند هذا الحد، فقد حاول أيضًا الضغط على شريف.

- «شريف، ياسمين متجوزة واللى أنت بتعمله ده غلط».

- «عارف بس تعرف لما تبص فى عين واحدة وروحك تتوه منك ونَفَسك يروح منك وعينك تغمض لوحدها؛ عشان مش قادر تبص لها كثير، لما تكون عارف أن حبها غلط بس مش قادر تمنع نفسك عنه ومش قادر تبعده عن قلبك، لما تكون مسيطرة على مشاعرك، لما يكون قلبك هو اللى بيحرك فيك كل حاجة، أنا مش بأيدى إنى امنع نفسى عنها حلى الوحيد إنى ماشوفهاش، بحاول ابعد بس الظروف بتمنعنى، بحاول اكون مش خاين بس أنا ضعيف قوى، أنا بدعى كل يوم إنى انسى حبها، بس جوايا مش بيأمن على الدعاء».

- «ايه المشاعر دى؟»

- «تعرف يا حلمى أنا قلت لها روحى اتطلقى ولما تطلقى هاتجوزك بس أنا بحبها».

استمرت ياسمين فى الكتابة وهى تحاول أن تجد شماعة لفشلها.

- «أفتكرت؟»

- «ياسمين أنا عشان عارفك كويس فكان لازم اتحكم فى مشاعرك».

- «أنت كنت بتتحكم فى سعادتى».

- «ازاى سعادتك تكون فى الخيانة؟»

- «أنا عملت كده عشان كنت، كنت.....».

- «ياسمين أنت عندك شخصيتين، كل واحدة ليها حركاتها وتصرفاتها وقناعاتها، ياسمين اللى عايزة تكسب كل حاجة وبأى وسيلة، ممكن تلاقى لنفسها مبرر لأى حاجة، زى كده لما بطلت تلوم والدتها على المشهد اللى شافته».

- «حلمى».

- «سيبينى اكمل، وياسمين الطيبة اللى حبت فى يوم من الأيام شريف بجد ومن قلبها وخلاكى تشوفى نفسك كويس، فى ياسمين اللى بتحب وياسمين اللى بتخون والخيانة عمرها ما جابت سعادة».

- «أنت قاسى قوى».

- «أنت اللى كنتِ قاسية على نفسك أكثر من أى حد».

- «ندمانة، قوى».

توقفت عن الكتابة وعاد وميض المؤشر أمامها وهى تتحدث بصوت مرتفع: « فاكر يا حلمى ولا نسيت؟ أيوه يا حلمى أنا حبيت شريف، أنا كنت بعشقه، شريف كان انضف حاجة فى حياتى، عمرى ما تخيلت فى يوم أن ممكن حد يحبنى الحب ده كله عشان أنا ما استاهلش، أنا وحشة قوى بس ضعيفة قوى

يا حلمى، ضعيفة».

***

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً، حين رن جرس منزل ياسمين.

- «هبة!»

- «مستغربة ليه؟»

- «أصلك ماتصلتيش».

- «وأنا لازم اتصل؟»

- «لا طبعًا أنت هبلة، عشان بس لو كنت مش موجودة».

- «وراكى حاجة. امشى؟»

- «حتى لو ورايا، ايه يا هبة أنا ياسمين مالك حساسة قوى كده؟»

دخلت هبة الغرفة وألقت نفسها على السرير، نظرت إليها ياسمين.

- «عماد».

- «ايوه، ايه اللى حصل؟»

- «سبنا بعض».

- «تعالى اقعدى على الكرسى ده وفهمينى واحدة واحدة».

- «أنا هاقعد على الكنبة».

أشارت إلى التسريحة.

– «لا اقعدى هنا هاعمل لك مكياج».

– «هو ده وقته؟»

– «تعالى بس».

جلست هبة أمام التسريحة ونظرت إلى المرآة وياسمين وهى تخرج إحدى علبها السحرية.

– «أنت بتعملى ايه يا ياسمين؟»

– «لما اخلص اللى بعمله هاتعرفى إنه وقته، ايه اللى حصل بقى؟»

– «عماد بيخونى».

– «طب ما أنا قلت لك قبل كده إنه بيخونك وأنت عمرك ما صدقتى».

– «عشان بحبه».

– «طب ايه الجديد؟ كرهتيه مثلا؟»

– «لا».

– «ايه اللى حصل؟»

– «كنت دايما بحس إنى مبسوطة حتى لما كنت باعرف إنه بيخونى، ماكنتش بصدق، ماكنتش عايزة اخرج من السعادة دى، بس المرة دى بعد ما عرفت حسيت إنى حزينة من غير سبب، والله من غير سبب».

– «بتعيطى ليه طيب؟ الميك اب هيبوظ».

– «ما يبوظ يا ياسمين فى داهية».

– «روحى اغسلى وشك واهدى وتعالى اقعدى».

مرت دقائق وعادت هبة وجلست مكانها.

– «أنا آسفة إنى زعقت لك».

– «بلاش هبل».

– «تفتكرى ممكن يكلمنى تانى؟»

– «اكيد هيكلمك ده عماد وأنا عرفاه كويس».

– «بس أنا قفلت كل البيبان، كلها».

– «هيرجع».

– «مش هيرجع المرة دى صدقينى مش هيرجع، أنا فعلًا قفلت فى وشه كل حاجة، مع إنه لو كلمنى واعتذر هاضعف».

انتهت ياسمين من وضع المكياج على وجه هبة حتى عادت أميرة كما كانت فى صغرها، ورسمت على وجه هبة ابتسامة ثقة أعادت إليها جزءًا من روحها.

***

(حلمى وحبيبة)

– «حلمى بس قبل ما تكمل، أنت ليه أفتكرت اليوم اللى طلبت فيه الطلاق؟»

– «فى لحظة بتفرق فى حياتنا يا حبيبة، يا اما ناخد القرار الصح ونكمل حياتنا، أو نغلط ونقتل روحنا قبل ما نموت بسنين».

– «قصدك أن طلبى كان غلط».

– «لا طلبك كان صح، بس لو كنت وافقت عليه كان هيبقى غلط».

– «فزورة دى؟»

– «لا بس أنا كان قدامى اختيارين أسهلهم أصعب من التانى، بس تعرفى بعد ما طلبتى الطلاق حسيت بقلق أول مرة أحس بيه، أنا كنت عايش معاكى وجوايا سكينة كنت مرتاح على قد ما إحنا كنا بعاد عن بعض، شعور القلق ده خلانى افكر هو أنا لو سيبتك هاكون مبسوط».

– «أنت كنت عايز تسيبنى يا حلمى؟»

– «فكرت يا حبيبة القلب مش هانكر، بس صدقينى لو قلت لك إنى لما رفضت الطلاق شعور القلق راح، وعلى قد المشاكل اللى حصلت بعدها، بس ماكنتش قلقان خالص».

– «ده كان أهم قرار أنت أخدته فى حياتك وصدقنى أنا فعلًا طلبت الطلاق وكنت بادعى إنك ترفض، كان نفسى اعيش معاك، عشان على قد البعد اللى ما بيننا بس كان فيه حلم جوايا وأنت اللى اتمسكت بيه».

(٨)

أساطير السعادة

"إحساس جديد"

نانسى عجرم

ألبوم الدنيا حلوة – ٢٠٠٧

لم يمُر يومٌ إلا وهو يحب، ولم يعش يومًا للحب إلا وحيدًا.

جلست مها بكل ثقة أما حلمى

- «أنا فخور بيكِ فعلًا».

- «ليه يا دكتور؟»

- «عشان الواحد لما يتعلم من أخطاؤه بيكون إنسان مختلف».

- «أنا حاولت احافظ على بيتى بس».

- «مها، أنت عملتى حاجتين صعب جدًا على اى واحدة تعملهم، أنت اعترفتِ إنك غلطانة وسامحتِ جوزك رغم إنك متأكدة أن غلطته لا تغتفر، أنت فعلًا قوية وأنا فخور بيكِ جدًا جدًا».

- «شكرًا يا دكتور».

- «عندى سؤال ممكن يكون بره موضعنا شوية».

- «أتفضل يا دكتور أسال زى ما أنت عايز».

- «إحساسك ايه بخالد دلوقتى؟»

- «خالد؟»

أخرجت لسانها وداعبت به شفتيها.

– «عيب اقول كده وأنا متجوزة بس هاكون صريحة معاك يا دكتور، خالد هو أول شروق على قلبى، خالد هو اللى فتح قلبى لحاجات كثير، هو حبى الأول، مش هانكر إنى بفكر فيه أحيانًا، بس مش خالد اللى سابنى، فيه خالد تانى بيوحشنى، خالد اللى كنت بحس بروحى بتخرج فى ايديه لما بيسلم على أو لما عينه تيجى فى عينى، أنا بقولك أنت بس عشان أنت دكتورى، لكن أنا مش باعترف بده حتى لنفسى، أنا ست متجوزة ودى خيانة وأنا معترفة بس أنا مش لاقيه طريقة التحكم بيها فى ذكرياتى».

– «أى حاجة ممكن نتعود عليها».

– «عارف يا دكتور المشكلة الوحيدة أن الحب ده بيبقى حب built in مشاعر موجودة فى القلب بتموت مع موت القلب».

***

توقفت مها قليلًا حتى تضع السماعات فى أذنها و بدأت تنظر إلى وميض المؤشر وتستمر فيما تكتب وهى تبتسم ابتسامة أظهرت أحلى ما فى وجهها.

عدت من رحلة العمرة بعد طلاقى مباشرة، كنت أظن أننى بعدها سأترك همومى فقط، ولكنى تركت معها قلبى الذى لم يعد لديه القدرة على الحب، خرج خالد من حياتى أو هكذا كنت أظن وقتها فقد عانيت كثيرًا بعده، أما وائل فلم يكن يشغل هذا الحيز الذى كنت أظن أنه يملؤه وبت أبحث فى الزواج عن شيئين رجل كلمته من رأسه وعقليته تتناسب مع جنون تفكيرى، نعم أعترف أننى بحثت عن الجنون بعد كل ما عانيته، رفضت الكثير من الزيجات لم أعد أبكى على شىء، أنا عاشقة مجروحة وعروس مطلقة، كانت أمى تدعمنى بشتى الطرق إلا أنها كانت رافضة فكرتى عن الزواج.

– "يا بنتى أنت بتدورى فى كوم قش على عريس شبهك وربنا خلقنا مش شبه بعض".

– "ماما، أنا جربت مرتين وعكت الدنيا معايا، عشان خاطرى المرة دى بلاش ضغط لحد ما ألاقى حد مناسب".

– "مناسب ازاى يعنى عشان ابقى عارفة؟"

– "ماما إحنا أصحاب طول عمرنا صح؟"

– "صح".

– "يبقى مش هتزعلى من اللى هاقوله، فاكرة زمان أنت وبابا كنتم عاملين أزاى؟"

– "فاكرة، وفاكرة كمان إنك كنتِ جنبى وضهرى فى عز المشاكل".

– "يبقى خليكِ فى ضهرى يا ماما دلوقتى عشان فعلًا محتاجة ضهر".

– "ما هو عشان أنا فى ضهرك يا بنتى بقولك المناسب ده إحنا اللى بنخلقه، احنا اللى بنعمل المناسب، طب ما أنا وباباكى بقينا مناسبين لبعض بعد كل المشاكل اللى عدت".

– "وأنا ماعنديش طاقة يا مامتى عشان أفصل المناسب ده".

كانت رحلتى عن السعادة مجرد حلم عشته مع نفسى ورأيته فى الآخرين.

(دفتر الملاحظات - الملف الرابع – الاحتياج)

عماد أيضًا كان فى رحلة البحث عن السعادة فى فتاة بلا علاقات سابقة، صدمته هبة بانسحابها وفقد ياسمين بعد زواجها، اثنتين عشقهن لأن فى الاثنتين كل ما كان يحلم به، هبة التى تعيش كالأميرات وياسمين التى تمتلك الأنوثة وتجيد استخدامها، ولكن عماد رأى أنه بعد هذا العمر وبعد كل ما مر به، عليه أن يستقر وكان اللقاء بيننا، لم يكن عماد يبحث عن أنثى، عماد كان يبحث عن زوجة وكنت أنا، لا يزال يتمتع بوسامته منذ صغره إلا أن علاقاته النسائية باتت منعدمة، ولكن بمجرد أن رآنى - أعترف أنى أمتلك حيزًا من الغرور- فى لقاء مُدبر من أحد أصدقائنا.

- «هو ايه احتمالية أن واحدة جميلة قوى زيك كده تكلم واحد وحش قوى زى كده؟»

نظرت إلى صاحب الصوت بدهشة وصمت قليلًا من وسامته.

- «أنا عماد صاحب حلمى».

- «أهلًا وسهلًا».

أشار إلى مكان بعيد ولوح بيديه إلى حلمى.

- «هو اللى قالى استناه معاكِ».

- «تنور اتفضل، بس ايه الدخلة الغريبة دى؟»

- «غربية ازاى؟»

- «لا مافيش بعدين، أنا هاكلم حلمى».

استمتعت بنصف ساعة من الحديث مع عماد، بدا أنه لا يريد أكثر من الاستقرار ولا مانع لدىَّ أن أستقر معه، الحقيقة أننى أعجبت به ولكن لكى أكون أكثر صراحة فقد قارنته بخالد ووائل وشتان ما بينهم، رجل وسيم، كانت أول دقائق كافية ليظهر قوة شخصيته ويرسم ابتسامة فرحة على وجهى.

***

كانت مها وعماد قصتى الرابعة التى لم أجد لها عنوانًا، زواج بحث عن الزواج، ليُكمل شيئًا مفقودًا بداخلهما، لم يجداه فى تجاربهما السابقة، زواج فيه كل الاحتمالات متاحة الفشل والنجاح، الحب والكره، السعادة والغضب، المتعة والفتور، دافعهما كان البحث عن كل هذا.

– «حلمى استنى شوية».

– «فى ايه يا حبيبة؟»

– «هو أنت ايه علاقتك بجوازهم؟»

– «فى مليون حلمى غيرى يا حبيبة ومش مهم الأسامى متنسيش».

– «وحلمى اللى فى الرواية كان عايز ايه؟»

– «كان عايزهم يعيشوا مبسوطين».

– «السعادة لا تصنع».

– «لا يا حبيبة احنا ممكن نصنع السعادة بس لما نفهمها».

– «يعنى القصة الرابعة ممكن تسميها السعادة؟»

- «مش السعادة، عماد ومها اتجوزوا عشان الاحتياج ودى انقى انواع العلاقات».

***

مرت الأيام وأنا وعماد نتقارب بحذر شديد، حاول كلانا أن يكون واقعى نقاشاتنا أكثر عقلانية، أناقشه فى شخصيته ويحلل شخصيتى، نتقبل الاختلاف بمنتهى الوضوح، باتت العلاقة أقرب إلى لوحة زيتية بألوان متناسقة ولكن غير مفهومة.

- «مها احنا كل حاجة بيننا واضحة، بس أنا مش مبسوط».

- «يعنى ايه؟»

- «يعنى مش حاسس إننا هنكون مبسوطين، مع إن فيكِ كل اللى أنا محتاجه من زوجة».

- وأنت فيك كل اللى أنا محتاجاه من زوج ، فين المشكلة؟!»

- «مش هنبقى مبسوطين».

كان قرارى بعد هذا اللقاء مختلفًا، قررت أن أقاتل على ما أريد.

- «حلمى هو مش عماد صاحبك؟»

- «اه».

- «قوى ولا عادى؟»

- «فى ايه يا مها؟»

– «أنا وعماد اتكلمنا وقال لى إنه مش عايز نكمل مع بعض عشان مش مرتاح لفكرة الالتزام».

– «و؟!»

– «وأنا مش عايزة اسيبه يا حلمى، ممكن تساعدنى أنا فعلًا مش عارفة أرد عليه إزاى، ومش عارفة أوافقه أو عشان أكون واضحة أنا مش هوافق إنى أسيبه، بس فى نفس الوقت مش عايزة أبان مذلولة».

– «وأنتِ مذلولة؟»

– «ايوه، بس مش حب، أنا ممكن اكون ماحبتوش بس شايفة حياتى معاه مناسبة».

تابع حلمى علاقتى بعماد فى هذه الفترة وأصبح يلقننى ما علىَّ قوله أو إرساله حتى أن آخر رسالة كتبها هو وأرسلتها أنا من هاتفى، «عماد أنا عملت لك كل حاجة فى الدنيا عشان نفضل مع بعض، عايز نفضل تمام، مش عايز تمام، يمكن هازعل شوية بس لما افتكرك مش هاندم، عشان عملت كل المحاولات إننا نفضل مع بعض وانت ماعملتش».

توقفت مها مجددًا لتحتسى فنجانًا من العصير وهى تدلك رقبتها وتبتسم حين تذكرت وائل.

لم أشعر بغضب من وائل رغم أننى أُعتبر طليقته، ولكن كان المسيطر آنذاك إحساس بالشفقة، تأكد لى – بعد أن ترك والده يكمل إجراءات الطلاق– أنه لا حيلة له، وائل كان رائعًا لولا تدخل والده، لا أنكر أننى أعجبت به للحظات، لم يكن فى قلبه غل لأحد حتى إنه اعترف لى باعتراف قبل خطبتنا.

- «بما إننا هنتخطب خلاص أنا عايز اعترف لك بحاجة».

- «خير؟»

- «هو أنا بكلم أمى، ايه خير دى؟»

- «ماقصدش، لو مصيبة بلاش تعترف».

- «لا خالص، وأنا فى الكلية كنت بحب واحدة اسمها غادة بس ماكنتش قادر أعترف لها بحبى ده».

- «ليه؟»

- «بلاش أسباب دلوقتى، بس حاسس أن من حقك تعرفى القصة، كنت بحبها بس عمرى ما اعترفت لها كنت، كنت ..».

- «كمل».

- «لا خلاص المهم كنت بحب واحدة زمان وكان لازم أقول لك».

لم أعترف له بعلاقتى بخالد وقتها، ولكن مع الوقت أدركت أنه رفض البوح لصديقته فى الجامعة بسبب ضعفه، كان اللقاء الأخير بين غادة ووائل فى الجامعة، كان وائل الشخص الذى ظن شريف أن غادة تحاول فرض نفسها عليه.

فى نفس المكان الذى أفصح فيه شريف عن حبه لغادة، جلست هى مع وائل.

- «غادة أنا مش عارف اقولك ايه!»

- «وائل أنا عارفة إنك بتحبنى».

- «مش عايز اطلع عيل قدامك، أنا طول حياتى بيتفرض على حاجات وخايف التزم معاكِ بالتزام ويتفرض على حد غيرك، أنا مش هاقدر أكمل معاكِ».

- «أنا ممكن استناك».

- «مش هاينفع صدقينى».

وبمجرد أن انفصلنا وبعد مكالمته الأخيرة معى وخروجه من تحت سيطرة والده، كان عليه إجراء مكالمة أخرى.

(دفتر الملاحظات - القلب - وائل وغادة)

- «الو».

- «وائل؟ أنت وائل صح؟!»

كانت الساعة العاشرة صباحًا وكانت فى مقر عملها، وقفت ونظرت إلى شباك خلف مكتبها وتلفتت يمينًا ويسارًا وخفضت صوتها.

- «خفت تكونى غيرتى رقمك».

- «لا ماغيرتوش».

- «ولا صوتك اتغير».

- «ولا أنت، أخبارك ايه؟»

- «تمام أنت فى الشغل؟»

- «اه».

صمت لثوانٍ وأخذ يحرك قلم فى يده بتوتر، وأخذ نفسًا عميقًا حتى وصل تنهيده إلى أذن غادة.

- «غادة أنا آسف عشان كل حاجة».

أخذت وقتها وهى تبتسم ثم مسحت دمعة خانتها سريعًا قبل أن يلاحظها أحد.

- «آسف على ايه، مافيش داعى للأسف، كنا صغيرين».

- «لا أنا آسف عشان أنا كنت ضعيف».

- «من غير ما تكمل مش محتاجة آسف لا على كونك ضعيف أو، أو عشان اتجوزت، مش محتاجة آسف على حاجة».

- «أنا اتجوزت عشان عشت مع راجل متحكم وماعرفش ليه كنت كده، أنا كنت هاتجوز واحدة عشان كانت عجباه».

عادت إلى مكتبها وجلست.

- «مش فارقة يا وائل والله مش محتاجة آسف».

- «هو أنا معطلك؟»

- «هو أنت مش بتشتغل».

- «بشتغل طبعًا بس بفتح بيزنس جديد وبحاول اكون مستقل، بقولك ايه ممكن نتقابل؟»

- «نتقابل ليه؟»

- «هو أنت ارتبطى؟»

- «قديمه قوى ارتبط دى يا وائل، بس لا أنا لسه لوحدى».

- «طب كويس».

- «كويس!»

- «تعرفى أنا فين دلوقتى؟»

- «لا».

- «أنا عارف إنك بتقفلى كلام، وده حقك، بس أنا قاعد فى سوا وعايز اقابلك ينفع».

- «وائل أنا بس عايزة أقولك حاجة، أنا خسرت واحد من أعز اصحابى عشان قال لى فى يوم إنى بجرى وراك، وأنت زمان ماقدرتش ده، هنتقابل ليه؟»

- «قصدك على الولد اللى كان لازق لك ده، ده كان شكله عبيط قوى يا غادة ومبهدل كده فى نفسه، وأنت كنتِ أحلى واحدة فى الكلية كلها».

- «ماتقولش عليه كده، على الأقل عرف يعترف بمشاعره».

- «هو كان بيحبك؟»

- «مابقاش وقته الكلام ده، كنا صغيرين».

- «طب ممكن نتقابل واشوفك كبرتِ ولا لسه صغيرة؟»

- «يا وائل».

- «فرصة تانية، أنا هستناكى فى سوا، هاقعد هناك من الساعة خمسة وهستناكِ».

- «وائل أنت ايه اللى فكرك بيا بس؟»

- «والله العظيم يا غادة عمرى ما نسيتك، ولا حتى لما كتبت كتابى، عمرى... أنا هستناكى».

أنهت غادة المكالمة مع ابتسامة وتنهيدة عميقة.

***

- «مش مهم الأسامى صح؟»

- «صح يا حبيبة».

- «ووائل كان بيقول على شريف شكله عبيط مع أن شريف كان صاحب عمره؟»

- «مالك يا حبيبيه بس؟»

- «لا يا حلمى مافيش كمل، أنا كنت بفكر نفسى بس».

***

- «خالد ... أنت سيبت مها ليه؟»

- «أنت أول مرة تسألنى السؤال ده يا دكتور؟»

- «تعرف يا خالد عشان نحل مشاكلنا؛ لازم نعرف السبب لازم تعترف أنت ليه سيبت مها».

- «اخر مرة قابلت مها لوحدنا كان واحنا بنشترى بدلة عشان شغل فى شركة كبيرة، كانت تقريبا ثانى شغلانة لىّ بس كانت هتفرق معانا كثير قوى، اشترت لى البدلة عشان الشغل وعشان اروح أخطبها ...».

- «سيب دموعك يا خالد مش عيب، كمل وخد راحتك».

- «مها كانت جميلة أنا على طول كنت باشوفها جميلة بس كنت خايف قوى، تعرف يا دكتور تقريبًا أنا اتجوزت عشان تكرهنى، أنا اتجوزت ياسمين عشان مها تكرهنى».

- «كنت عايزها تكرهك ليه؟»

- «عشان ماكنتش قادر على حبها، أنا كنت، لا مش كنت أنا لسه بحبها وبجنون يا حلمى».

نظر حلمى إلى بندول الساعة وهو يهز رأسه معترضًا على هذا التفكير.

- «وفىّ سبب كمان عشان حسيت أن عماد ممكن يتجوز واحدة أحلى منها».

جلس خالد وحيدًا وهو يستمع إلى أحد ألبومات كاظم الساهر القديمة وأمسك هاتفه المحمول وبدأ فى الكتابة.

(دفتر الملاحظات - العقل - خالد وياسمين)

سافرت أنا وياسمين لقضاء شهر العسل على إحدى سواحل القارة الآسيوية

المطلة على المحيط الهندى، كانت الليلة الثانية وبعد أن ارتاح كلانا من السفر ارتدت مايوه بيكينى واتجهت إلى حمام السباحة مباشرةً، لم أعلق على المايوه، أنا الذى رفض من قبل أن ترتدى مها ملابس ضيقة تكشف عن مفاتنها الآن أترك زوجتى ولا أعلق، لم تكن تكفى ورقة تعترف بزواجنا أن تجعلنى أشعر معها بعلاقة زوجية، مر الأسبوع الأول دون أن اقترب منها، رغم المعادلة الحسابية لزواجنا إلا أن لى جانب رومانسى أرفض الكشف عنه، كنت أنتظر إشارة منها ولكنها صمتت وفضلت الابتعاد.

فى اليوم الأخير أرسلت ياسمين رسالة نصية إلى شريف، "أنا لسه بنت، أنت ممكن تسامحنى".

سعادة غامرة شعر بها شريف بعد الرسالة وراوده الأمل من جديد، رغم هذه السعادة إلا أنه رد عليها سريعًا، "عيب أنت ست متجوزة"،

لم تكن أيام زواجنا الأولى سوى بذرة للخلاف، وتركنا تلك النبتة تنمو لتقتل أى محاولة لخلق حياة أسرية، لم أكن أتخيل قط أن حياتى ستنتهى بهذه الصورة، تركت ياسمين المنزل بعد شهرين لم أستطع أن أعطيها متعة جنسية وأنا روحى مع أخرى، لم يجمعنا سرير فى الشهرين إلا وكانت مها ثالثتنا لم تفارقنى للحظة، لم أستمع لصرخات أنوثة ياسمين، كنا على وشك الانفصال حتى بعد أن أكتشفت ياسمين حملها مُورست ضغوط علينا حتى عدنا إلى المنزل سويًا وإن بقيت روح كل منا فى مكان أخر.

فى هذه الأثناء بدأ شريف فى التقرب من عماد، فى محاولة منه لمعرفة آخر أخبار ياسمين، ولأن شريف دائم التعامل بفطرته نسى مع الوقت السبب الحقيقى لصداقته من عماد، وكلما رآه فى موقف يحتاج للمساعدة تدخل حتى إنه كان أكثر من قدم له يد العون أثناء زواجه، وكانت صداقة عماد إحدى

الأسباب فى عودة الاتزان لشريف، وإن كان قد فقد اتزانه مرة أخرى حين استقبل مكالمة غريبة من ياسمين.

نظر شريف على الرقم المسجل على هاتفه وظل لثوانٍ مترددًا بين الرد من عدمه.

– «أنت عايزة ايه منى يا ياسمين بعد السنين دى؟ أنت مش اتجوزتى؟»

– «طب قول سلام عليكم».

– «عايزة ايه يا ياسمين؟»

– «ممكن ارجع اكلمك؟»

– «أنت متجوزة وماينفعش، أنت مش عارفة أنت عملتِ فىَّ ايه، أنا بنى ادم يا ياسمين».

– «هو أنت فهمت ايه لا أنا ماقصدش الهبل ده، وأنا عارفة إنى غبية جدًا عشان سبتك، أنا برتاح وأنا بكلمك، أنا بينى وبين خالد مشاكل كثير».

– «وأنا مش حل لمشاكلك مع خالد، سيبينى فى حالى».

أغلق شريف الهاتف واتصل بحلمى.

– «حلمى، ياسمين كلمتنى».

– «و؟!»

– «عايزة تكلمنى».

– «شريف من غير لف ودوران، اقفل على الموضوع ده ولو اتصلت بيك تانى

ماتردش، اقطع كل علاقتك بيها».

توقف خالد قليلًا عن الكتابة واتجه إلى مشغل الأسطوانات ووضع أسطوانة لكاظم الساهر، وبدأ يغنى معه بصوت مرتفع.

«وأعرف أنى أعيش بمنفى وأنت بمنفى وبينى وبينك

ريح وبرق وغيم ورعد وثلج ونار

أعرف أن الوصول لعينيك وهم

وأعرف أن الوصول إلى شفتيك انتحار».

عاد بعدها إلى الكتابة وكاظم الساهر يشدو خلفه.

كان أكثر الأيام مرارة يوم زفاف مها، كان من الممكن أن أعتذر ولكن أردت وبشدة أن أشاهد زوجها، نظرت إلى خزانة ملابسى وعلى الرغم من امتلائها بالملابس والبدل ولكن كانت هناك بدلة وحيدة، البدلة التى اختارتها مها، توقف عقلى عن القيام بدوره الحيوى، وبدأ القلب فى السيطرة على ما تبقى لى من مشاعر، ارتديتها بالطريقة التى كانت تفضلها ثم زينت معصمى بآخر هدية منها، كان واضحًا شعور الدهشة على وجه ياسمين وأنا أرتدى تلك الحلة القديمة، اعتادت على أن ترانى أزهو بنفسى وأرتدى فقط ما وضع عليه اسم أشهر الماركات، لكن ياسمين لم تعد تهتم بما أرتدى منذ فترة طويلة ولم أجد أحدًا أحدثه إلا خالد القديم.

- «معاك فلوس كثير اهو ومش نافعة».

- «أعترف إنك غلطت وحاول من جديد».

- «مافيش جوايا حب غير ليها».

- «للحب ألف لون، انساها».

- «يعنى انساها وافتكر بوز الاخس اللى معايا دى؟»

- «مش دى للى أنت كنت هتموت عليها؟!»

- «حمار، أنا حمار».

كان الطريق إلى قاعة الفرح أشبه بطرق سباقات الصحراء أنا وحدى، وحرارة شديدة أشعر بها رغم المكيف الذى يعمل على أعلى درجاته بالسيارة الفارهة، بمجرد أن وصلت إلى قاعة الأفراح اختفى الحضور وبقيت مها أمامى ودمعة حبيسة فى عينيها، نظرت إلى ورفضت أن تخفى ابتسامة رسمها على وجهها من تتمايل بين أحضانه، فهو أحق بالابتسامة عن حزن إشفاق على ماضٍ رفضها كان قلبها يُعتصر من الحزن، أنا أعرف تلك الفتاة أكثر مما تعرف هى، للمرة الأولى تشعر برغبة فى البكاء منذ أن تركتها، فهى تعلم أنها فقدت مشاعرها ولم تقو على الحب مرة أخرى.

ولم يكن هناك إلا حلمى لينتشلنى من هذا الهم.

- «للمرة المليون، حلمت بيها امبارح يا حلمى».

- «عشان أنت مش بتفكر غير فيها».

- «ما هو أنا مش عارف مافكرش».

- «والمرة دى ايه بقى يا عم الرومانسى؟»

أغمض خالد عينيه مع ابتسامة غير مصطنعة.

– «شفتها على البحر مسكت راسى وحطتها على صدرها وحسيت بيها قوى، حسيت قد ايه كانت محتاجانى وأنا بعتها، سمعت صوت قلبها، هى ممكن تكون حاسة بى؟»

– «الأرواح دى عالم غريب، مش بعيد».

– «بجد ممكن؟»

– «كمل يا خالد».

– «أنا مالحقتش ابص لها، بس حسيت انها بتعيط، لا مش هى لوحدها، أنا كمان كنت بعيط أول مرة من زمان احس بيها قوى كده، أول مرة من زمان توحشنى كده أنا هاموت عليها، واول مرة اكتشف قد ايه أنا ظلمتها وظلمت نفسى».

– «تفتكر يا خالد لو كنت اتجوزتها كنت هاتحبها الحب ده كله؟»

– «فصلتنى».

– «ما هو أنا لازم افصلك طبعًا، أنت عامل ايه مع ياسمين؟»

– «استغفر الله العظيم».

– «ايه يا عم، هى مش كانت طالبة الطلاق؟»

– «وأنت فكرك إنى هاطلقها بالساهل كده؟ هى لسه شافت حاجة منى».

– «ايه يا ابنى الغل ده؟»

– «أنا اعرف حاجات عنها ومش حابب اقولها، بس فى يوم هاخد حقى منها».

– «تعرف عنها حاجة ولا بتلومها عشان ماتجوزتش مها بسببها؟»

خالد من قمة الرومانسية إلى قمة الثأر خالد يخفى مشاعره الحقيقية عن حلمى.

***

«كل واحد عنده حلمى، حلمى اللى بيشاركه كل مشاكله وبيستنى منه النصيحة، بس حلمى دائمًا بينصح بمشاعره مش بواقعية السؤال، هنا يا ترى حلمى نصحهم صح؟!»

– «ايه يا حلمى؟ هو أنت السبب فى اللى هم فيه؟»

– «أنا السبب!! ازاى يا حبيبة؟»

نظر حلمى إلى بندول ساعته وهو يحاول أن يسيطر على نبضات قلبه، ضم شفتيه وحاول أن يتماسك إلا أن حبيبة لاحظت ذلك، حاولت الاقتراب منه و لكنه أشار لها بيديه، فظلت فى مكانها وشاهدته وهو يمسك قلمه ويستمر فى الكتابة.

***

قررت ياسمين أن تعود إلى رشاقتها، بدأت فى نظام غذائى صارم ولكنها فشلت، هنا قررت أن تخضع لعملية جراحية فى المعدة لتساعدها على العودة إلى شكلها القديم، ولكنها لم تعترف لأحد بالعملية وقالت أنها اتبعت نظام غذائى مع

ممارسة التمارين الرياضية، وسرعان ما عادت تشتاق إلى علاقاتها السابقة ونظرات الرغبة فى أعين الرجال، ساعدت عماد أن يعمل معها فى الشركة التى التقت فيها بخالد، وكانت الظروف مناسبة بعد أن ترك خالد وظيفته ليعمل فى دولة أخرى وبقى زواجهما على الورق، وهنا رسمت لنفسها مبررات أن تعود إلى علاقة أخرى ربما تنسيها وحدتها وكان عماد.

- «الو».

- «ايه يا بنتى أنت فين؟»

- «فى الدنيا، أنت أتجوزت؟»

- «هبة سابتنى وأنت بعتينى كنت عايزانى اعمل ايه يعنى؟»

- «غلطت يا عماد والله».

- «أنت فينك دلوقتى؟»

- «ده اللى أنا متصلة بيك عشانه».

- «ايه؟»

- «ابعت لى ال CV أنا اشتغلت فى شركة جديدة وعايزاك معايا».

- «الفلوس ايه؟»

- «ابعت بس وأنا هاظبطك».

كانت على الجانب الآخر تتصل بشريف يوميًا حتى تحكمت فيه من جديد.

- «أنا ها اطلق».

- «أنت عايزة ايه منى؟ ابعدى عنى بقى».

- «شريف أنا هاطلق ممكن نتقابل، أنت واحشنى جدًا».

لم يقاوم شريف الرغبة وبدأ يتعامل معها على أنها منفصلة وأن طلاقها مسألة وقت، وافق على اللقاء فى نفس المكان الذى كانا يجتمعان فيه، ولأن شريف مختلف أهداها هدية عن كل عيد ميلاد لم يلتق معها فيه، وتوالت اللقاءات والمكالمات والحب يزيد وتحول المشهد مع شريف إلى أنه الزوج وخالد هو العشيق وفى إحدى اللقاءات اعترض على تواجدها معه فى شقة منفردة.

- «أنت بتقول ايه؟!»

- «ماتقعديش معاه فى الشقة لوحدكم».

- «ده اللى هو ازاى ده؟»

- «احنا هنستهبل، وتجينى تانى تقولى لى غلطت وحامل».

- «شريف أنت بتغير عليا؟»

- «بلا غيرة بلا زفت أنت مش هتطلقى، تقعدى معاه إزاى بقى؟»

شريف يلين سريعًا ولكن فى نفس اللقاء كانت هناك محادثة أخرى مع عماد.

- «بقولك ايه يا عماد ما تيجى تروحنى».

- «وأنت عربيتك فين؟»

- «مش قادرة اسوق والله».

تريد ياسمين كل شيء.

- «عماد احنا اصحاب صح؟»

- «هو إحنا كنا أصحاب وبس؟»

- «طب هسألك سؤال غريب».

- «قولى».

- «أنت بتقعد قد ايه مع مها وأنت نايم معاها؟»

- «نعم ياختى».

- «عايزة اعرف، فى ايه عادى».

عماد أيضًا بنفس مقدار ياسمين من المكر وبدأ خطوة سريعة.

- «هو خالد ايه، فسسس؟؟»

- «اسكت بقى».

- «يبقى فسسس».

هى اللحظة التى وضع يديه على كتفها وتركها لتقف عند صدرها.

- «طب ما هو لسه كويس اهو، ماله خلود بقى».

- «بس يا عماد ايه ده؟»

ولأنه عماد لم يتوقف واستمر حتى وصل إلى اللحظة التى جعل ياسمين تغمض عينيها وتستمتع برعشة شهوة فقدتها منذ فترة طويلة ولم يقطعها سوى رسالة من شريف: «أنت فين روحتى ولا لسه؟» وبمجرد أن تركت عماد اتصلت به.

– «شريف ماتيجى البيت محتاجاك ضرورى».

– «ما أنا كنت لسه معاكِ، حصل ايه؟»

– «تعالى بس الشقة ضرورى».

– «شقتك ازاى ولو مامتك شافتنى؟»

– «لا ماتخفش مافيش حد».

– «طب لما مافيش حد آجى أنا ازاى؟»

– «ايه يا شريف هو احنا صغيرين».

أغلقت نور الصالة وتركت ضوءًا ضعيفًا يتسلل من إحدى الغرف الجانبية، اتخذت قرار ممارسة علاقة كاملة مع شريف هو المتاح الآن، عماد رفض الفكرة لأنه متزوج هو لا يمانع مداعبتها، ولكن رافض للعلاقة الكاملة أما شريف فلا، تركت قميصها مفتوحًا كعادتها وهى صغيرة وإن زاد عدد الأزرار المفتوحة وجيب قصيرة، بمجرد أن دخل شريف تعمدت استثارته لم تقترب منه وإنما تركته يلتهم جسدها بعينيه وهى تضع له عصيرًا وقطعة من الحلوى، جلست بجانبه ووضعت رأسها على كتفه.

– «تعرف يا شريف أنت الوحيد فى الدنيا اللى بحس معاه بالأمان، أنا ندمانة على كل لحظة ماكنتش معايا فيها، أنا بحبك قوى».

أخذ شريف نفسًا عميقًا وأغمض عينيه فى محاولة لكبت مشاعره وشهوته التى تلتهم جسدها، حاول جاهدًا أن يستعيد قوته وهو طفل وهو يحاول تجنب شهوته ولكن إيمانه كان أضعف من أن يمنعه.

– "ما هو أنا قلت لك من الأول كل ده كان غلط جوازك كان غلط".

كان صوته ضعيفًا ويتلعثم فى الكلام حين خطت خطوتها الثانية وهى تنظر إلى وجهه وتقترب منه وتطبع قبلة على خده، احتضنها ومارس معها علاقة كاملة وما أن انتهيا.

– "شريف أنت مش أول مرة تنام مع واحدة أعترف".

– "لا والله أنت أول واحدة، وماتخلينيش أندم، أنت هتطلقى؟"

– "شريف أنت جامد قوى وهاتطللق عشان خاطرك".

لم يكن فى نية ياسمين الانفصال على الإطلاق هى تريد أن تستمتع بثلاثتهم، خالد والصورة الاجتماعية، عماد وصورة العشيقة، وحب شريف.

كانت الخطيئة الأولى فى حياة شريف حين مارس مع ياسمين علاقة جنسية كاملة، عاد بعدها إلى منزله ودون أن يلقى التحية على أحد دخل إلى غرفته وأغلق جميع الأنوار ودفن نفسه تحت الغطاء وكل أمانيه أن ينام فى أسرع وقت ممكن، خوف سيطر عليه لأيام، أصبح يخشى أقل ضوء حتى أن ضوء الثلاجة كان يثير فيه الرعب، رغم هذا الخوف كان فى حالة من الدهشة عما بدر منه، كيف استطاعت أن تغويه كيف استطاعت أن تُقنعه أن يمارس معها علاقة كاملة، كيف اقتنع وهى لا زالت على ذمة رجل آخر، كيف أقنعته أنه لا يوجد مجال للعودة إلى زوجها، وأنها فى أشد الاحتياج له، سؤال لا زال مستمرًا معه

وهو يدرك أنه مهما طال الوقت، سيقتص الله من فعلته، وظل يستغفر كثيرًا ولا يزال يستغفر فقد يغفر الله له ويصون أهل بيته.

***

- «أنت زعلت عشان قلت إنك السبب؟»

- «لا مازعلتش».

- «طب اتغيرت كده ليه؟»

- «عشان افتكرت أنا ايه، عشان لما قريتها عرفت إنى كنت بكتبها بمزاجى».

- «هى ايه دى؟»

- «روايتى يا حبيبة، أنا كنت الصاحب الخامس، الصاحب المنسى، اللى بيفتكروه لما يكون عندهم مشكلة واجعة قلبهم، كنت دائمًا موجود ليهم، بس كنت لوحدى، عمر ما فى حد فيهم سألنى مالك؟ لا باحب ولا باتحب أو باتينل، كنت محرم للبنات وأجدع راجل للولاد، أنا كنت ترس صغير قوى لما ساعة قلبهم تقف يحطونى عشان ترجع تلف، تعرفى أنا بقيت دكتور عشان مابقاش لوحدى، أنا اتعودت إن الناس تفضل محتاجة لى، عشت عمرى كله يا حبيبة من غير أصحاب، وكان لازم اكتب روايتهم عشان اعرف أقرأ روايتى، كان نفسى كلهم يكونوا مبسوطين».

- «حلمى، أنا آسفة».

نظر حلمى إلى حبيبة بابتسامة.

- «على ايه أنا اللى نفسى اعتذر لهم، أنا كنت شريف اللى ماقدرش يثنى خالد عن قراره وياسمين اللى ماخلتش هبة تكلم عماد تانى، أنا كنت فاشل إنى أنقذ ياسمين من نفسها بس كنت بحاول، ماكنتش عايز حد فيهم يخون».

احتضنت حبيبة رأس حلمى.

- «عمرك ما كنت فاشل، ولا محتاج تقول حاجات كثير عشان تقول إنك مش بتخونى، مش ده اللى أنت عايز تقوله من الأول، أنا حفظاك يا حلمى».

- «لا خونتك».

(٩)

حياتنا

"وافتكرت"

محمد حماقى

ألبوم ناويها – ٢٠٠٨

لديكِ سرٌ لا يعلمه أحدٌ سواكِ!

- «هبة، ليه من بعد عماد اخترتِ شريف؟ الفرق بينهم كان كبير قوى».

- «شريف عوضنى عن مشاعر كثير قوى غير أن تدينه كان لذيذ ولايق على تدينى».

- «يعنى ايه لايق؟»

- «شريف بالنسبة لى المتدين بعد شوية شقاوة».

- «عرفتِ منين؟»

- «ايه يا دكتور أنت نسيت أنا كنت أزاى، ربنا يغفر ويسامح بقى».

- «آمين، أخبارك ايه مع شريف؟»

- «نفس المشكلة، أنا اللى بعمل كل حاجة وهو بيعتمد على بشكل مبالغ فيه».

- «تعرفى مشكلتك ايه؟»

- «ايه يا دكتور؟»

- «أن أنت وجوزك مش فاهمين دور كل واحد».

- «أنا بقوم بدورى كويس جدًا».

فى ساعة مبكرة جلست هبة فى إحدى الكافيهات المخصصة للسيدات،

وأخرجت جهازها اللوحى وبدأت فى الكتابة.

بحثت عن نفسى كثيرًا بعد انفصالى عن عماد، لا أنكر أننى كنت على مقدار من الجمال، مما دعا الكثير لمحاولة الارتباط بى، ولكنى رفضت الجميع كنت أحب عماد، بحثت كثيرًا عن أخباره وانتظرته سنوات، أعترف أنه لو كان عاد وحاول مرة واحدة أخرى لكنت عدت ولكنه لم يعد، كان على أن أبحث عن شىء جديد وبحثت كثيرًا إلى أن هدانى الله.

- «ايه اللى أنت لابساه ده؟»

أمام مرآتها وقفت تحاول لف حجاب حريرى.

- «ايه يا ماما بجرب الحجاب بس».

- «فى أيه يا هبة أنت مخبية عنى حاجة؟»

- «لا خالص».

- «أنت بقيتى مختلفة من بعد انفصالك عن عماد».

- «يا ماما عدت سنين وخلاص مافيش عماد».

- «يا بنتى وأنت بقيتى حد تانى ومن ساعتها قافلة على نفسك».

- «أنا زى الفل يا ماما، ممكن تسيبينى لوحدى شوية، أنا تعبانة».

تركتها الأم ونظرت هبة فى درج مكتبها لتخرج وللمرة الأولى فى حياتها شريط دينى.

لم تعترض أمى فقط.

ياسمين: «هبة اللى أنت فيه ده هبل».

غادة: «فاكرة يا هبة زمان لما كنت بقولك الارتباط ده عبط لازم تفوقى».

مها: «ماينفعش قطة الشلة تبقى مطفية كده».

توقفت هبة قليلًا عن الكتابة للصلاة ثم توالت الأحرف أمامها.

فقدت اتزانى مع هذا الشعور بالفقد، لم أعد الأميرة التى تلهب الأبصار ببريقها، لم أعد سوى جسد بلا روح، انقطعت عن عالمى وظللت حبيسة حزن رفضت أن أبوح به لأحد، ظللت تائهة لسنوات إلى أن تغير كل شىء بعد أول لقاء لى مع إحدى الداعيات – أم إكرام – كما كانوا يلقبونها، هذه الأم الرائعة التى حاولت بلين أن تُصلح ما أفسدته أسر كثيرة ومجتمع من أخلاقيات وأساسيات الدين، كان هدفها أن تضعنا على أول طريق الإسلام الصحيح، الدين الذى كرم المرأة كما لم يكرمها أحد، كانت تحمل شهادات أزهرية وأخرى من دول إسلامية وجامعات عن الشريعة والأحكام، متخصصة فى علم النفس وطبيبة بشرية ومع كل هذا كانت ابتسامتها تأسر طلابها، تدريجيًا ومع نصائح أم إكرام بدأت أعود إلى روحى، ومع الوقت بدأت فى نسيانه ليس لأننى لم أعد أحبه ولكن لأن العلاقة دون زواج حرام شرعًا.

استطاعت محاضرات كثيرة للشيخ يعقوب وخاصة وهو يقول: «يا من تبحثين عن الحب يا من تبحثين عن الأمان، يا من من تبحثين عن الاستقرار، يا من تبحثين عن الحياة والسعادة – ومثلها للشباب – لن تجدوه إلا بالدين»، ثم يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى

إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار». وشيئًا فشيئًا بدأت أخرج من حزنى إلى أن رحل تدريجيًا من قلبى، وإن ظل ذكرى.

أغمضت هبة عينيها قليلًا ثم أكملت.

سيطر حلمى ومها على عماد حتى تقدم لخطبة مها، رغم التحفظ الذى أبدته والدتها خوفًا من خوض تجربة جديدة فاشلة، ولكن مها كان لها رأى مغاير، هى لا تريد أن تبقى بلا زواج وحلم الأمومة كان يراودها وعماد صورة مثالية للزوج، له شخصية مستقلة، مستوى اجتماعى يتناسب مع أسرتها، ولو كان هناك حب لاكتملت الصورة، لقد فقدت هذه الفتاة متعة الحب منذ أن خانها خالد.

– «دى المرة الأخيرة اللى بحذرك فيها يا بنتى، الفرح قرب وأنا مش شايفة فى عينيك لمعة حب ولا سعادة».

– «حب!! أنت عارفة يا مامتى الحدوتة والسعادة احنا ممكن نخلقها».

– «خايفة عليكِ».

– «أكيد مش هايحصل أسوأ، أنا حاربت المرة دى ومش كل مرة هخسر».

بالنسبة لعماد كانت مها لحظة السكون التى انتظرها لسنوات بين لحظات متعة زائفة، ومع إصرار مها لم يكن لديه خيار، مها كانت النهاية السعيدة لروايته كما يظن، لم يرتكب أى خطأ فى الفترة الأولى، كان صريحًا معها إلى أبعد الحدود، لم يدخل فى أى علاقة بعد زواجه إلا حين ظهرت ياسمين من جديد، ورغم كم العلامات التى أرسلت له من السماء لم يتعظ، ظل بلا وعى حتى أكتشف أنه كان ضحية متعة سخيفة، كان يسدد دين ما فعله بكثيرات قبل

زواجه، ولكن اللحظة التى شعر فيها بالندم، توقف عن النظر إلى مها ولم يقو على رفع عينيه وهى تتحدث معه وبدأ يبتعد عنها شيئًا فشيئًا، وعلى الرغم من أن حياتهما بلا قلب، لاحظت مها أن هناك اختلاف فى معاملته استفزها كأنثى.

- "مالك يا عماد؟"

- "ولا حاجة مشغول بس بشوية حاجات".

كان حلمى قد أدى دوره مع مها على أكمل وجه، استطاع أن يعيد لها طاقتها وتفاؤلها وبلا مقدمات وقفت وكأنها تلقى محاضرة أمام جمع من الناس.

(دفتر الملاحظات - الملف الرابع - الاحتياج)

(مها وعماد)

- "يمكن حياتنا مملة وأنا معترفة بكده، يمكن حياتنا ماشية بالورقة والقلم يمكن عقلنا اللى مسيطر، جايز نكون مش بنحب بعض بالصورة اللى كان نفسى فيها، حاجات كثير قوى بس الحاجة الوحيدة اللى مش هاينفع أفرط فيها أن احنا نتكلم".

دبت الحياة فى هذا المنزل من شرارة أطلقتها مها دون أن تشعر.

- "مدام بتتكلمى بصراحة، أنا كمان هتكلم بصراحة، أنا عملت غلطة وغلطة كبيرة قوى".

وقفت مها أمام مكيف الهواء مباشرة فى محاولة لأخذ أكبر قدر من الأكسجين، كان أمامها خياران إما أن تطلب منه الحقيقة كاملة التى هى بلا أدنى شك

علاقة بامرأة أخرى بحكم معرفتها بماضيه وتنتهى الزيجة أو أن تستغل الموقف لصالح حياتها.

– «طب لو قلت إنى مسامحاك يا عماد ومش عايزة أعرف تفاصيل؟»

بدهشة على رد فعلها.

– «بالسهولة دى؟»

– «لا مش بالسهولة دى، محتاجة مقابل ده حاجة».

– «مقابل!!»

– «توعدنى إنك تروح عند الدكتور بتاعى، هو طالب يشوفك».

– «أنا مش مجنون على فكرة».

– «يعنى هو أنا اللى مجنونة، بس أحب أؤكد لك إنى لو ماكنتش روحت له كنت أكيد هتجنن».

– «يا مها».

– «شرطى الوحيد وأقسم بالله مسامحاك».

لم يسامح شريف نفسه على الخطأ الذى ارتكبه فى حق نفسه أولًا وفى حق زوج ياسمين ثانيًا، ظل لأيام حبيس منزله يتحاشى الأضواء حتى ضوء هاتفه كان يخشاه، وإن كان مع الوقت بدأ فى العودة إلى الحياة الطبيعة من جديد.

– «ايه يا شريف أنت فين؟»

– «أنت عماد!!»

– «مش عارف صوتى؟»

– «معلش كنت نايم بس ومش واخد بالى».

– «أنت مختفى بقالك كثير، المهم البس هاعدى عليك أنا خارج النهارده مع جماعة اصحابنا».

– «مها معاك؟»

– «لا هو أنا عبيط!»

– «رحت للدكتور بتاعها».

– «رحت يا سيدى هابقى أحكى لك».

كانت المفاجأة حين رأى شريف ياسمين بين الحضور ومعها خالد زوجها ظهر أقل من ربع الساعة ورحل وتركها، نسى شريف كل ما فعلته بمجرد رؤيتها، ظهرت مشاعره ولم يستطع أن يخفيها فى نظراته ومحاولاته المستميتة للتقرب منها، لاحظ عماد وتوجه إلى ياسمين.

– «ماله شريف؟»

– «ايه ده أنت قررت تعطف على وتكلمنى تانى؟!»

– «إخلصى».

كان عماد قد قطع علاقته بياسمين بعد وعده لمها.

- «ماله يعنى؟»

احتد عليها.

- «أنت مش واخده بالك بيعمل ايه؟!»

- «بالراحة هاقولك بس احلف إنك مش هاتقول له لأحسن شريف طيب».

- «فى ايه؟»

- «بيحبنى يا عماد وبيرسم خيالات فى دماغه».

- «يعنى مافيش حاجة!»

- «أنت هتستهبل ولا ايه؟»

- «مش فاهم والله».

- «بيحبنى يا سيدى ومتخيل إنى بأحبه وبيجرى ورايا».

- «طيب كنتِ عرفينى وأنا أوقفه».

- «لا اوعى، شريف طيب وغلبان أنا بأعرف أوقفه».

انتهى الحفل وفى طريق عودتهما حاول عماد أن يقدم له يد المساعدة.

- «أنا مش عارف ابتدى منين».

- «عايز ايه؟»

- «ياسمين».

– «مالها؟»

– «ياسمين وخلاص».

– «ايوه مالها يعنى؟»

– «بلاش».

بعد دقائق من الصمت.

– «بلاش ليه يا عماد هى هاتطلق واحنا متفقين على كل حاجة».

للحظة حاول أن يتذكر كلام ياسمين ويقنع نفسه أن شريف يرسم أوهامه ولكنه أكمل.

– «متفقين على ايه؟»

– «على كل حاجة».

– «اللى هى ايه؟»

– «أنت صاحبى وأنا هاقول لك، خالد وياسمين هيطلقوا قريب جدًا هى طلبت الطلاق خلاص، عشان خالد بنى آدم زبالة وبيعاملها بمنتهى الحقارة غير إنه بيعمل مصالح عليها و......».

– «لا استنى بيعمل مصالح ازاى؟»

سرد شريف مشاكل خالد وياسمين بتفاصيلها والتى أخبرته بها من قبل بكامل تفاصيلها، ولأن عماد قد خاض تجارب كثيرة أدرك ما فعلته ياسمين.

– «أنت وقفت العربية ليه؟»

– «لا تعالى ننزل نشرب حاجة بقى الموضوع كبير».

وكانت الصدمة التى اهتزت لها سنوات شريف الأخيرة، سنوات ضاعت فى اللهث خلف ياسمين، سنوات فقد فيها متعة الحب بسببها.

كان قرارهما سريعًا بالبدء فى أخذ الثأر مما فعلته بهما، عماد خسر هبة من قبل بسببها، وكاد أن يخسر مها، وشريف خسر كل شىء.

كان الأسهل إلقاء اللوم عليها ولم يفكر أحد منهما فى خطيئته، شريف الذى خان زوجها، وعماد الذى خان كل من ارتبط بهم بسببها.

توقفت هبة عن الكتابة حين حان موعد الصلاة.

***

– «وائل أنت ليه خليت والدك هو اللى يطلق مها؟»

– «أنا كنت قدامها ضعيف قوى وكنت حاسس قد ايه هى كويسة، بس المشكلة إنى ماكنتش قادر أبص فى عنيها لحظة الطلاق».

– «يعنى أنت ماكنتش عايز تطلقها؟»

– «والله يا أبو الأحلام أنا أساسًا ماكنتش عايز الجوازة دى تتم، بس تخيل نفسك كده وأبوك بيكلم مراتك ويقلها اقلعى الحجاب قدامه، أكيد قالت على مش راجل».

– «وأنت ليه ماكلمتهاش تفهمها؟»

- «عشان أنا بقى شكلى عيل صغير خلاص مش هاعرف ارفع عينى فيها، وبما أن كده كده منظرى كان زفت، فبابا خلص الموضوع».

- «سؤال أخير، هى مكالمتها الأخيرة فرقت معاك ليه؟»

- «عشان ببساطة يومها قفلت السماعة ورحت قلت لبابا عايز تتجوز أنت اتجوز، انما أنا مش هاخليك تجوزنى وكفاية سيطرة على حياتى، بس تعرف المكالمة دى خلتنى اتنيل واتجوز غادة ماكنتش متخيل إنها كده».

أنهى وائل عمله واتجه إلى المقهى، ثم تابع وميض المؤشر أمامه وبدأ فى السرد.

(دفتر الملاحظات - القلب)

مرت سنوات زواجى -أنا وغادة- الأولى بدافع الشوق، ولكن مع الوقت انتهت قوة هذا الدافع وبات علينا أن نجتهد أكثر ولكننا تكاسلنا، تخلت غادة عن حكمتها وبدأت فى إتقان دور الأنثى الشرقية فى تضييق الخناق على، شك مستمر فى كل تصرفاتى وتهديدات بالرحيل، بدأت قصة الحب فى التحول تدريجيًا إلى معركة لا بد أن تنتصر فيها، وكلما زاد انتصارها زادت نشوتها ومع انتصارات متتالية وهروب مستمر منى، ازدادت الفجوة ولم يكن الحب وحده يكفى للصمود أمام هذا الكم من الصراع، تحولت غرفة معيشتنا إلى سجن، بمجرد أن أدخل ودون أن ألقى التحية أتوجه إلى التلفاز لأشاهد إحدى مباريات كرة القدم، ولأننى أعلم أنها لن تتركنى أنعم بالهدوء وأنها ستعترض على المباريات، ابتعت شاشة جديدة بخاصية العرض المزدوجة وتحول المشهد الذى رسمناه سويًا لغرفة معيشة رومانسية إلى غرفة سجن مزدوجة.

أصبح امتزاج اللون الأبيض والبنفسج يثير الشجون، الأريكة التى اخترناها

لتجمعنا كانت أشبه بسياج من حديد، حتى الصور التى كانت تشبه تلك المعلقة فى "سوا"، تحولت ألوانها لتصبح مزيجًا يثير الرعب، الرُكنة التى اخترتها للاستمتاع باتت الأتربة هى من تستمتع بها، أجلس لأشاهد إحدى المباريات أو أجرى حديثًا سريعًا على هاتفى وهى تضع السماعات لتشاهد برامجها المفضلة، مع الوقت انتهت قصة الحب وارتفعت حدة الخلاف أمام دهشة الكثير من عائلتنا وأصدقائنا، غرورها وكبريائى دفعنا لعدم الاعتراف بأخطاء كثيرة، وعلى الرغم من إنى كنت أسير بخطى ثابتة فى أعمالى لكنها حاولت السيطرة على حياتى.

- "أنا قاعد وكل شوية بحاول أحايلك، أنا زهقت".

- "أنت بتحايلنى، أنت على طول محسسنى إنى عندى عقد".

- "أنا؟! أنت مش طبيعية، على طول بحاول اقف جنبك وأنت بتحاولى تسيطرى على كل حاجة".

- "أنا اسيطر عليك هو أنت مش واخد بالك أنت أزاى مش مهتم، أنت على طول بتحسسنى باللى أنت عايزه وبس، عايزنى ابقى مبسوطة وقت ما تحب وتحبطنى وقت ما تعوز، أنا زهقت".

- "أنا مش عارف أقول غير إنك أسوأ غلطة فى حياتى".

***

توقف حلمى قليلًا عن الكتابة وهو يخرج الملف الأول ويقرأ منه.

تحولت غادة إلى صورة من والده وهى تحاول التحكم فيه، ومع محاولات السيطرة المستمرة، صب وائل غضب سنين عمره من والده وسيطرته عليه إليها، غادة

التى لم يعرف قلبها الحب إلا مع وائل رفضت جميع محاولات الصلح، أعلنت كثيرًا أنها تشعر بالندم على زواجها أما وائل كان يبحث عن راحته ولم يهتم بشأنها، وانخرط فى أعماله وكان دائم اللوم عليها أنها تعترض طريق نجاحه، ظل وائل يهاجم سيطرتها بعنف إلى أن تذكر حاله مع والده وتذكر مكالمة مها له بعد الطلاق، أُثيرت ذكريات سيئة داخله، وظل يخزن مشاعره السلبية إلى أن كانت اللحظة التى انهارت فيها كل المشاعر.

***

فك وائل رابطة عنقه قليلًا ثم عاود الكتابة.

لا زالت هبة وحيدة وإن استعادت كثيرًا من ثقتها فى نفسها، أخذت وقتًا فى التفكير بين ارتداء الحجاب من عدمه، صراع نفسى كان لعماد تأثير غير مباشر فيه، عماد كان يرفض أن ترتدى الحجاب، وظل لسنوات يغذى عقلها الباطن أنها سوف تبدو أكبر سنًا إذا ما ارتدته، رفضت الكثير ممن تقدم لخطبتها حتى دب الشك فى قلب أمها.

– «هو أنت مش عايزة تتجوزى ليه؟»

– «ماما أنا مش هاتجوز كده وخلاص، لازم أكون مرتاحة قوى».

– «ولا يمكن مستنيه عماد؟»

– «عماد خلاص يا ماما، خلاص من زمان، وماتفتحيش الموضوع ده تانى عشان خاطرى».

– «يا بنتى ده خامس عريس ترفضيه».

– «مش أنت دائمًا كنتِ بتقولى إنى هاختار أحسن واحد فى الدنيا سيبينى بقى أختار».

ترك وائل وميض المؤشر وحيدًا وهو يطلب تغيير حجر المعسل الخاص به.

مشاعر هبة غير مستقرة وإن كانت مشاعر ياسمين الآن فى أوجها، هى لا تشعر بأى ندم وهى تجلس مع شريف.

– «تعرفى أنا بحلم باليوم اللى هنتجوز فيه».

– «بجد يا شريف؟»

– «بأعد الأيام يوم ورا التانى لحد ما تخلصى من الزفت ده».

– «يا رب يا شريف».

– «بس ايه الصور اللى بعتيها امبارح دى، أنت أول مرة تعملى كده».

– «شريف أنت خلاص تعتبر جوزى ولا أنت نسيت اللى حصل، تيجى نسافر أنا وأنت الساحل يومين لوحدنا».

– «والله فكرة بس هتقولى ايه للزفت ده؟»

– «هاتصرف».

جلسة رومانسية ومحاولات مستميتة من شريف للسيطرة على مشاعره نصف ساعة، مرت عليه فى كل ثانية فيها يود أن يضربها بكل ما أوتى من قوة، ولكنه استمر واقترب منها وهو يفتح هاتفه المحمول ويشير إلى الصور التى أرسلتها له فى اللحظة التى دخل فيها عماد، ابتسم عماد وبكل ثقة نظر إلى ياسمين.

- «ايه ده الصور دى عندى أنا كمان».

لحظة من الصمت بين ثلاثتهم ونصب شريف المحاكمة.

- «ليه!! عملت فى كده ليه!! اشمعنا أنا وهو!! ما كنتِ تشوفى ليك اى كلب من الشارع ينام معاكِ».

تدخل عماد فى هذه اللحظة فى محاولة منه لتهدئته.

- «شريف احنا اتفقنا على ايه مش عايزين فضائح، صوتك».

اللحظة التى تحدثت فيها ياسمين.

- «اتفقتوا!!»

- «هو أنت فاكرة ايه يا حلوة! احنا لعبنا بيكِ براحتنا قوى ولسه ها نلعب قولها يا عماد، ولا أنت فاكرة اللى أنت عملتيه ده هايعدى كده».

وبرغم غضب شريف إلا أنه حاول أن يتحدث بهدوء وأكمل.

- «أنت عقابك الوحيد إنك تفضلى متجوزة خالد ده، وحياة أمى لو ما اختفيتى من حياتنا وحياة أى حد نعرفه لنفضحك فضيحة اقسم بالله ما فى زيها، ومش هاتعرفى تنامى حتى فى بيتكم، وبنتك هاتعرف كل حاجة مش دى اللى أنت خايفة لتعرف إنك شر..».

- «شريف، اهدى شوية».

- «اهدى ليه؟ هى لسه شافت حاجة وبصى لو عرفت فى يوم إنك اتطلقتى، بنتك هيكون عندها كل صور أمها ولو سافرتِ آخر الدنيا، أنت اللى زيك لازم

يعيش فى ذل باقى حياته".

نظرت ياسمين إليهما وهى تحاول ألا تبكى.

- "وأنت رأيك ايه يا عماد أنت كمان؟ عايز تضيف حاجة؟!"

تأثر عماد بانكسار ياسمين ولم يجب.

- "أنتم الاثنين بتلومونى كأنى أنا السبب لوحدى، لا معلش بقى شريف أنت عارف إنى متجوزة وحصل اللى حصل ولو ماكنتش عرفت حاجة كنت هتعمل كده معايا كثير، وأنت يا عماد ايه مش واخد بالك إنك متجوز، مش واخد بالك إنى دائمًا كنت موجودة من وأنت مصاحب هبة ايه هتعمل قديس دلوقتى، أنا هابعد مع انكم مشتركين معايا فى الذنب بس هابعد عشان خاطر بنتى، هابعد عشان هى أهم حاجة فى حياتى ومش أنا لوحدى اللى غلطانة".

بعصبية تحدث شريف.

- "أنت ليكِ عين يا ....".

كانت على وشك أن تهاجم أكثر وتبرر لكنها فضلت الصمت، هى تعلم أن الخطأ الذى وقعت فيه لا يغتفر وأنها كانت أضعف من أن تطلب من الرجال أن يتوقفوا عن حد معين كانت ضعيفة ولكن ضعف شريف وعماد كان أقوى.

ظل شريف يعانى كثيرًا حتى وجد راحته فى الالتزام الدينى وبدأ يشغل روحه ويعيش فى سكينة الإيمان، وبعد سنوات رشحت له إحدى زوجات أصدقائه هبة، هبة ظلت فترة ترفض من يتقدم لخطبتها كان شرطها الوحيد هو أن يكون ملتزم دينيًا وكانت الصورة الأمثل فى شريف، ورغم اعتراض الأسرتين

إلا أنه وجد فيها صورة لأمه، تلك الصورة التى رفضتها هبة فهى زوجته وليست والدته، ظلت الصدمة التى عاشها شريف تؤثر فى شخصيته، أصبح دائم الشعور بعدم الثقة تلك المشكلة زادت داخله مع كل مرة حاولت فيها هبة أن تحل مشاكلهم بمثالية، كان يشعر فيها بضعف فى ثقته بات يحاول كثيرًا وهى ترفض محاولاته لأنها ببساطة كانت تريد محاولاته بطريقتها هى، كان حلمى هو المنُقذ حين خطا الخطوة الأولى تجاه إنجاح زواجه، هى اللحظة التى أدرك فيها أنه كان حبيس تجربة قاسية.

تابع شريف مع حلمى ووجد معه الراحة، وتدريجيًا استطاع حلمى أن يخرج كم الغضب الساكن بداخل شريف، لم يفعل شيئًا سوى أنه أفرغ مساحة كفاية داخل عقله ليتقبل بها هبة، معارك كثيرة خاضها شريف وكان لا بد من مساعدة أحد ليعود إلى نفسه، واتخذ حواره مع هبة مسارًا جديدًا.

(دفتر الملاحظات - الروح - هبة وشريف)

- «ايه الآية اللى أنت معلقها دى؟»

- «الآية ٣٠ من سورة فصلت « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ألا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ».

- «أول مرة تعلق آية!»

- «عايز دائمًا افتكر أن القناعة حاجة والعمل بالقناعة دى حاجة تانية خالص».

- «مش فاهمة».

– «القناعة هنا إن ربنا الله والعمل بالقناعة إنهم استقاموا وكانت النتيجة باقى الآية».

– «حلوة فعلًا ربنا يكرمك».

– «بس أنا علقتها عشان احنا الاثنين نفتكر».

– «ما احنا بنحاول نعمل وربنا يتقبل».

– «آمين، بس مش ده قصدى».

– «قصدك ايه يا شريف».

– «قصدى أن احنا الاثنين عندنا قناعة اننا نعيش مبسوطين ولازم نعمل بالقناعة دى».

كانت الشرارة الأولى من شريف إلى تلك الأسرة عندما تحدث بنفس لغة هبة وبدآ سويًا فى حل خلافاتهما، كانت البداية وهو يعترف أنه جزء من المشكلة وبعد محاولات كثيرة بدأت تعود الحياة تدريجيًا لطبيعتها.

لم تعد حياة خالد لطبيعتها قط كانت المرة الأولى التى يتحدث فيها خالد مع مها بعد سنوات من زواجه، وإن كان الحوار لم يتعد سوى سؤال عن حالها وأحوال زواجها ولكن كان له أثر بالغ.

– «أنا كنت فرحان قوى يا حلمى وأنا بكلمها».

– «عينك بتلمع كده ليه؟»

– «فرحان، بس أنا كنت جبان».

- «ليه؟»

- «عشان خفت أسألها بصراحة، لما سألتها عن جوزها كان نفسى اعرف هو كويس ولا لأ، للأسف تمنيت للحظة إنه يكون وحش ويسيبوا بعض، سألتها عن أولادها وكان نفسى اعرف شبه مين، عمال أفتح فى كلام فاضى والسؤال كان على لسانى هو أنت مبسوطة ولا لا؟ كان نفسى أكتب إنى فعلًا بحبها وإنى حمار عشان خونتها، كنت مستنيها تشتمنى أو تزعق أو حتى ترفض الكلام معايا وماحصلش».

وضع يده على رأسه.

- «اتكلمتى معايا عادى يا مها، عادى جدًا كنت مستنى منك أى رد فعل، خفت أسألها أنت نسيتينى بس كنت فرحان وأنا بكلمها، للأسف ماردتش عليا لما فى الآخر بعت: «أنا آسف يا مها».

طلب وائل الحساب وأغلق حاسوبه.

***

تركت حبيبة رأس حلمى وجلست على الأرض ووضعت رأسها على فخذه.

- «لا يا حلمى أنت عمرك ما خنت مع أن فى اسم ماغيرتوش».

- «اسم!!»

- «ايوه يا حلمى، مشكلتك إنك بتنسى بس، زمان حكيت لى عن بنت حبيتها وأنت صغير وكان اسمها مها».

– «أنا حكيت ده؟»

– «ايوه وتعرف من زمان عارفة أن جواك حاجة صغيرة ليها، بس أنا عمرى ما زعلت، أنا معايا كل حاجة فيك، ماعدا حتة صغيرة ومش فارقة معايا ومسامحاك».

***

سنوات تمر وبعدها لا يوجد للاعتذار معنى.

فى لقاء أسرى وبعد سنوات جمعهما بيت أحد أقاربهما.

– «مها، ازيك؟»

لم تمد يدها للسلام.

– «ازيك يا خالد عامل ايه؟»

– «من غير لف ودوران أنا بقالى سنين نفسى اعتذر».

– «ششششش، كنا عيال».

– «لا ماكناش وأنا غلطت فيكِ غلط جامد».

– «ولا اى حاجة».

– «لا طبعًا أنا فعلًا غلطت».

– «لا أنت ماغلطتش، أنت رمتنى زمان رمية كلاب، وخلاص بقى مايصحش أنا متجوزة، إزاى ياسمين جت معاك».

- «اتغيرتى يا بنت عمى».

- «كويس إنك فاكر إنى بنت عمك اللى كان المفروض على الأقل تقولها زمان إنك هترميها».

- «نفسى أعوضك».

- «عن السنين اللى كل يوم كنت بموت فيها عشان اترميت رمية مش حلوة، اطلع لمراتك حالا».

خرج خالد وبقيت هى فى الشرفة قليلًا وهى تبتسم فهو لم ينساها كما وعدته وهى قد محته من ذاكرتها منذ زمن طويل.

***

- «شريف».

- «ايوه مين؟»

- «أنا ياسمين».

- «ياه، أنت لسه عايشة؟»

- «مستغرب من المكالمة.

- «الصراحة اه، أنت ماعندكيش دم غالبًا».

- «حقك، بس أنا بحاول أعالج نفسى وانضف».

- «أنت! ياسمين أنا متجوز وربنا هدانى من زمان، وبدعى فى كل صلاة يغفر لى

اللى عملته والحمد لله نسيت حاجات كثير».

– «بس أنا مانستش، أنت الغلطة الوحيدة».

– «بس بس الله اعلم كنت العلاقة الوحيدة».

– «والله أنا فعلًا كنت بحبك و ..».

– «ياسمين هو أنت زمان خلتينى أزور أمك ليه؟ عشان تشوفنى وتقول رأيها فىَّ ولا عشان ايه؟ اتجوزتى ليه يا ياسمين وخلفتى ليه؟ كدبتى علىَّ وقلت لى أن الخلفة كانت غصب عنك وبعد كده عرفت إنك حاولتِ كثير عشان تخلفى، أنت ايه؟ إهمدى بقى؟ ربنا يهديكِ يا شيخة والله مش عايز ادعى عليكِ مش عايز».

– «خلصت، أنا بنتى ماتت يا شريف، ربنا انتقم وبنتى ماتت فرحان كده؟»

– «ايه**!!**»

– «ربنا عاقبنى وحسيت بالعجز من يومها، بنتى صورتها فى كل مكان حوليه، ومع كل صورة غلطة من اللى عملتها، بنتى ماتت يا شريف لو كان ده يريحك».

– «أنا عمرى مادعيت عليكِ ولا على بنتك عمرى».

– «المهم أرجوك سامحنى، أنا مش حمل أى حاجة تانى أبوس ايدك بطل تدعى على».

– «والله عمرى ما دعيت عليك والله، وربنا غفور».

***

- «أنت بتقول ايه يا زفت أنت؟»

- «ايه يا عماد مالك؟ هاتجوز».

- «وغادة؟»

- «مالها غادة، عايزة تفضل معايا أهلًا وسهلًا مش عايزة براحتها».

- «واللى بينكم؟»

- «بيننا ايه ما كفاية كدب بقى، أنت عايز تكدب على ولا على نفسك ولا على مين احنا لوحدنا، أنا عايش فى نكد ونكد بس أنا وائل يا عماد، اللى كان بيقلب الدنيا مسخرة بقيت كئيب بسببها».

- «طب ما الجديدة ممكن تكون نكدية».

- «مافيش حاجة مضمونة، بس أنا عايز أعيش مبسوط، تعرف أنا عارف أن الناس هتقول عنى خاين بما إنى راجل يعنى وكلنا خونة، بس أنا مش خاين أنا هاتجوز وهاديها مطلق الحرية، أنا مش خائن أنا راجل وزى كل الرجالة بزهق بسرعة، تعرف يا عماد احنا أطفال وبنحتاج معاملة مختلفة، شوف الطفل بيحتاج ايه شوية دلع وحنان ومغفرة وده مش موجود أعيش معاها ليه؟»

- «طب ما أنا ومها عاديين».

- «عاديين فاممكن تعيشوا بس لما تكون عايزة تحس إنها الراجل وتقلب كل حاجة فى الكون يبقى تولع».

(١٠)

إحلم

"إحلم معايا"

حمزة نمرة

ألبوم احلم معايا - ٢٠٠٩

الواقع هو حدود حلمك.

استيقظت مها فى منتصف الليل، ونظرت جانبها فلم تجد عماد، بصوت مبحوح نادت عليه أكثر من مرة فلم يستجب، نظرت إلى غرفة نومها الجديدة بابتسامة فقد تخلصوا من معظم أثاث منزلهم مؤخرًا، استطاعت مها وحدها أن تعيد الحياة إلى أسرتها على الرغم أنها اكتشفت علاقة عماد وياسمين إلا أنها قررت أن تسامحه.

- «تفتكر هى سامحتنى ليه يا حلمى؟»

- «الخطوة الأولى لأى علاقة هى الغفران، هى كانت قوية جدًا لدرجة إنها قررت تسامح».

أزاحت الغطاء عنها وبعين أقرب إلى النوم قامت بحثًا عنه.

- «يا عماد».

كانت سماعة الأذن تعزله عن العالم، فلم يسمع منها صوت إلا أنه لاحظ حركتها.

- «أنت صاحية ليه دلوقتى؟»

- «أنا بنادى عليك بقالى شوية واتخضيت، بتعمل ايه؟»

- «باكتب».

- «لا حوش الثقافة».

نظر إليها بزهو.

- «اه طول عمرى مثقف ماخدتيش بالك؟»

- «ما تمثلش اخرك ميكى».

كشوال وضعها عماد على كتفه وألقاها على السرير.

- «نامى».

- «بتكتب ايه؟ وهنام».

- «رواية».

- «رواية ايه إن شاء الله».

- «رواية، عادى».

- «ودى اسمى فيها؟»

- «لا».

- «طب ايه اسم البطلة؟»

- «لا هو بطل ونامى بقى».

- «مافيش بنات؟»

- «لا فيها بس مش أبطال».

- «طب اسم البطل ايه؟»

- «حلمى».

- «واسم الرواية؟»

- «روايتنا».

- «رواية مين؟ أنا وأنت؟!»

- «لا».

تركها عماد وعاد إلى مكتبه.

أعلنت الساعة عن منتصف ليل اليوم الثانى ولم يتذوقا طعم النوم، ساعده بندول ساعته على الهدوء وضع نظارته، ثم جلس يداعب شعر حبيبة وهما يستمعا إلى موسيقاهما المفضلة.

- «أنا آسف».

- «أنت لسه بتفتكر مها؟»

- «أنت عارفة ايه اللى حصل بينى وبين مها؟»

- «لا ومش عايزة أعرف سبب انكم سيبتوا بعض».

- «أنا عايز أقول لك».

- «براحتك».

- «أنا مها كنا بنحب بعض جدًا، بس عمر ماحد فينا صارح التانى».

- «ازاى يعنى؟»

- «ماكنش لازم نتكلم عشان نفهم اننا بنحب بعض، كانت كل حاجة بتقول ده، كفاية ضحكتها لما كانت بتشوفنى».

- «أنت لسه فاكر ضحكتها؟»

- «.......».

- «وعمرك مانسيتها».

عاد حلمى سريعًا إلى قلمه.

كانت مها على وشك النوم حين وصلتها رسالة على هاتفها المحمول، على جروب خاص لأصدقاء طفولتها.

ياسمين: «على ميعادنا بكره يا بنات وحياة أمى اللى مش هاتيجى هافشخ... ولا بلاش عشان بتزعلوا».

غادة: « hastankom kolkom » هستناكم كلكم»

مها: «هو أنتم صاحيين ليه لحد دلوقتى؟»

غادة: «أنا قاعدة بخلص فى الرواية».

ياسمين: «دى واحدة جديدة؟»

غادة: «ايوه يا ياسمين».

ياسمين: «اسمها ايه؟»

غادة: «روايتنا».

ياسمين: «اوعى تكون روايتنا؟»

مها: «أنت بتكتبى عننا؟»

ياسمين: «مها أنت صاحية لحد دلوقتى؟ اعترفى هو عماد فين؟»

مها: «بموت فى سفالتك».

هبة: «أنا هاجى إن شاء الله وقوموا صلوا ركعتين يمكن تيجوا معايا الجنة».

غادة: « loooool »

ياسمين: «حتى أنت يا طاهرة صاحية بتعملى ايه؟»

هبة: «مش هارد».

غادة: « wa7shtonee » وحشتونى»

ياسمين: «بكرة الساعة ٥ ».

غادة: «مستنياكم، أنا مطلقة ولوحدى».

تركت غادة هاتفها وقبل أن تكمل الكتابة نظرت إلى الفراغ حولها وحاولت ألا تندم على فعلتها.

على الرغم من دهشتها وضعت حبيبة رأسها على قدم حلمى وسألته:

– «الأسماء مش مهمة صح؟»

- «ايوه الشخصيات اللى بتفرق، ماتنسيش هم عمرهم ما كانوا أصحاب».

- «طب ممكن سؤال؟»

- «طبعًا».

- «أنت عمرك ما نسيت مها؟»

- «بصراحة؟»

- «يا ريت».

- «مها كانت حب القلب بالنسبة لى ودى حاجة ماتتنسيش».

- «ممكن اعرف ليه؟»

- «فى حاجات بتتولد جوانا ومش بتموت».

- «أنا مضايقة يا حلمى من اللى بتقوله».

نظر حلمى إلى بندول ساعته.

- «تعرفى أنا بحب الساعة دى ليه؟»

- «ليه؟»

- «عشان شغالة لوحدها ومش محتاجة الترس الصغير عشان يدورها».

- «حلمى بص أنا مابحبش جو الإسقاطات ده وأنا قلت لك قبل كده أنت تفكيرك أبعد من تفكيرى أنت عميق إنما أنا لأ، أنت مانستش مها».

لم يعلق وعاود الكتابة.

– «هو أنا كان لازم أوافق على شريف!! أنا ماحستهوش ماكنتش بحبه، ماحلمتش بيه ولا نفسى وقف عشانه، ماحستش إنى من غيره مش هاعرف أعيش، ماكنش زى ما هو فاكر إنى بعته أو خدعته، والله والله يا دكتور حلمى أنا فعلًا ماكنتش بحبه، ليه كنت بشوف فى عيونه لوم وعتاب وليه البعد؟ أنا عارفة أن القلب ده مش ملكنا ومش بنتحكم فيه بس كان ممكن على الأقل يفهم أن الحب لازم يكون متبادل، كان لازم أكون بحبه وده ماحصلش».

– «طيب هو أنت كنتِ متضايقة لما شفتيه بعد السنين دى مع البنت دى؟»

– «لا والله خالص، أنا كنت مضايقة جدًا من شكلها مش دى اللى شريف يتجوزها، كان شكلها مايص قوى وأنا عارفاهم يا دكتور وعارفة أشكالهم، تعبت منهم كثير طول حياتى، أنا حبيت شريف كأخ وعشان كده ماكنتش عايزة أخويا يتجوز دى».

قررت غادة التوقف عند هذه اللحظة وهى تبكى بصوت مرتفع وظلت تبكى.

«أنا ووائل كان لازم نتطلق احنا مختلفين فى كل حاجة، على طول فاكرنى باضغط عليه مع إنى كنت بحاول أساعده، كان طالع السما بطموحه وشغله، مع أن شغله على قده وماينفعش يدى له كل الحجم ده، كان عايش الدور قوى عايش لدرجة إنه صدق إنى السبب فى فشل العلاقة».

نظر عماد إلى هاتفه وهو يعلن عن وصول رسالة على جروب رجالى لأصدقائه فترك المؤشر يومض وحيدًا.

خالد: «تيجوا نتقابل بكره؟»

عماد: «والله فكرة وبالمناسبة دى ممكن اجيب حشيش معايا».

خالد: «حشيش! أنت ايه يا ابنى؟»

عماد: «يعنى مش هاتشرب؟»

وائل: «أنا هاشرب وش».

شريف: «هو انتم ماعندكوش شغل».

عماد: «ناخد أجازة يا اخى».

وائل: «أنا راشق».

عماد: «ما خلاص بقى مافيش حد تاخد منه الإذن يا ابن المحظوظة».

وائل: «اللهم ديمها نعمة».

خالد متهكمًا: «وهو فيه أحلى من الجواز».

شريف: «أنا هنام اتفقوا واكتبوا هنا وأنا هاجيلكم بعد الشغل».

وائل: «بعد الشغل ولا لما تاخد الاذن».

شريف: «لا الصراحة بعد الاذن».

عماد:» ٥٥٥٥٥٥ على الرجالة "

شريف: «بلاش أنت يا عاتشفى».

وائل: «طب أنا مستينكم عندى فى الشقة الجديدة وأنا عازب».

ضحك عماد وهو يعيد الهاتف إلى مكانه وينظر للمؤشر من جديد وإن كاد أن يغلبه النعاس ولكنه أكمل.

احتفظت شقة غادة بشكلها إلا أنها انتقلت إلى غرفة أخيها بعد الانفصال عن زوجها، والعودة إلى منزلها القديم فتحت غرفتها لترى النور من جديد وملأتها باللون الأخضر، لم تنس هوايتها القديمة فابتاعت كثيرًا من الأسطوانات المدمجة وعادت لشجون رومانسيتها، كانت ياسمين أول الحاضرات رغم كم الحزن الذى تحمله ولكن لهذه الفتاة آلاف من الوجوه، بابتسامة تبدو أنها حقيقية خلعت حذاءها وبدأت فى الرقص على إيقاع موسيقى غادة.

- «يخرب بيتك طول عمرك رقاصة بريمو و مزة المزز».

- «وياريت عاجب إنما البعيد جبلة».

- «كلهم كده إسألينى أنا خلصت منه دى كانت حياته فظيعة».

- «ايه ده هو أنت جمدتى كده امتى يا بت يا غادة؟»

- «قصدك على الفورمة أنا بقيت باعشق الجيم جسمى حلو صح؟»

- «وبتقولى عنى مزة».

- «استنى هاكتب حاجة بسرعة واجيلك».

كان وائل فى الشقة المقابلة، ابتاعها بمجرد الانفصال عن زوجته، هو لا يقوى على العودة للعيش مع والده فقد ذاق منه الكثير، لم يعد وائل يريد شيئًا سوى أن يعيش كما يريد هو وفى هدوء، كانت الساعة تشير إلى الواحدة حين وصل خالد.

- «هو عماد ماجاش؟»

- «أنت مش قلت مش هاتحشش؟»

- «أنا!! أنت هتمثل بقى ولا القعدة لوحدك جننتك؟»

- «أنا اتجنن عبيط أنت ولا ايه دى العزوبية نعمة».

نظر خالد إلى الشقة.

- «ايه يا عم القرف ده مافيش كراسى؟»

- «لا كله على الأرض منها وإليها يا خلود».

كانت مها ثانى من حضر وبمجرد أن رأت غادة.

- «ايه ده يا غادة هو الطلاق بيحلى؟»

- «لا الهم هو اللى كان بيوحش».

- «ربنا يرزقك باللى يسعدك».

- «بصى يا مها يا حبيبتى أنا اكتفيت».

لم تعرف أيًا منهن بعلاقة مها فى صغرها كل معرفتهن كانت تقتصر على كتب كتاب فاشل، ابتسمت مها.

- «يا بنتى ما أنا اتطلقت مرة ودلوقتى ربنا يخلى لى جوزى».

- «لا أنت وجوزك حاجة مختلفة عن البشر».

ياسمين لا زالت تنظر فى الثلاجة.

- "احسديهم بقى".

- "ياسمين، وحشتينى أنت بتعملى ايه فى الثلاجة؟"

- "ماعندهاش حاجة نشربها".

توجهت غادة إلى الثلاجة وفتحت درج خاص للمشروبات.

فى هذه الأثناء وصل شريف.

- "أنا قلت إنك عازب وأكيد ماعندكش حاجة تتشرب".

- "ايه يا شريف كل اللى أنت جايبه ده؟"

نظر خالد وهو ممدد على الأرض.

- "عم الشيخ الله يفتح عليك".

- "اهو أنت اللى شيخ".

لقاء حار بين خالد وشريف فلم يلتقيا منذ فترة.

- "ايه اللى فى الشنطة دى يا شريف أكل؟"

- "أنت على طول جعان كده لا دى PS؟"

بفرحة طفولية احتضنه وائل يا ابن اللعيبة.

كانت هبة آخر من حضر وبمجرد أن دخلت وخلعت إسدالها نظرت مها إليها.

مها: «أنت مابتكبريش؟»

هبة: «قولى ما شاء الله».

ياسمين: «واضح أن جوزها مدلعها».

هبة: «عيب يا ياسمين».

ياسمين: «لا بلاش الجو ده عليا أنا ده احنا خربناها سوا».

هبة: «ربنا يسامحنا بقى».

بعد طول انتظار كان عماد آخر من وصل.

خالد: «فين يا ابنى الحشيش؟»

عماد: «أنت مش قلت مش هاتشرب».

وائل: «أنا لسه قايل كده ماصدقنيش».

خالد: «وأنا من امتى مابشربش، لا مؤاخذة يا شيخنا بقى».

شريف: «والله لولا إنكم واحشينى ماكنتش جيت عشان الزفت ده».

اكتمل المشهد الآن، كلهم عادوا إلى طفولتهم، كل منهم خلع عباءة الصورة المزيفة التى رسمها لنفسه، الجميع يجلس على الأرض ، أخرج وائل شاشة كبيرة ووضعها أمامهم ثم قام شريف بتوصيل الوصلات، أخرج عماد قطعة الحشيش وبدأ خالد فى لف السجائر.

شريف: «بصوا لفوا بقى شوية كثير عشان مش كل شوية نوقف اللعب».

عماد: «يا ابنى لف السيجارة جزء من متعة شربها».

خالد: «مش هيفهم حاجة ده خليه كده خام».

وائل: «لا حللوا بعدين إدونى أولعها أنا بقالى كثير ماشربتش».

عماد: «وهو أنت أساسًا كنت بتشرب بلاش تمثيل وحياة أبوك».

وائل: «لا بلاش ابويا».

جلست غادة ومها على الأريكة حين احتلت كل من ياسمين وهبة كرسيين منفردين.

غادة: «أنا ماعملتش أكل تحبوا نجيب اكل ايه؟»

هبة: «مشاوى».

مها: «موافقة».

ياسمين: «هاقوم اطلب أنا أعرف محل كويس».

هبة: «ايه صوت الزعيق اللى فى الشقة اللى جنبك ده؟»

غادة: «ده ساكن جديد لسه مشترى الشقة».

ياسمين: «واضح إنهم كثير مش واحد لوحده».

غادة: «لا واحد لوحده قابلته مرة واتكلمنا وعرفت إنه عايش لوحده».

مها: «اوبا».

غادة: «ده مطلق».

هبة: «وعرفتى كمان قصته؟»

ياسمين: «رقمه كام؟»

غادة: «الصراحة الواد جامد».

كان المشهد أكثر إثارة فى الشقة المقابلة، فقد بدأ الحشيش فى لعب دوره بجدارة وألهبتهم حماسة المباريات، وقف خالد وهو يحتفل بأحد أهدافه فى عماد لينظر من الشباك المطل على المنور ويشاهد الفتيات الأربع.

خالد: «ولا يا وائل مين المزز اللى جنبك دول؟»

وائل: «دى واحدة عايشة لوحدها تلاقيهم أصحابها».

عماد: «عرفت منين؟»

وائل: «هو أنا تلميذ!»

شريف: «أنت يا ابنى مش لسه مطلق؟»

وائل: «يا شريف يا خويا البت جامدة بشكل ومطلقة».

عماد: «صيدة يعنى».

شريف: «ربنا يهديكم».

خالد: «عايزين نظبط بقى».

***

لم تستطع مقاومة النوم ورغم غضبها إلا أنها احتضنت قدميه بقوة وظلت وظل على وضعه يداعب خصلات شعرها.

- «تعرفى إنى بحبك بعقلى وروحى و ..».

- «ودائما فى احتياج لى، أنا عرفت دلوقتى ليه عمرك ما قولت إنك بتحبنى بقلبك، بس أنا عشت بالباقى سعادة ماحدش كان يتخيلها».

ترك حلمى القلم ثم مال نحوها وبالكاد طبع قبلة على رأسها.

نظرت إلى الشاشة ونظر حلمى إلى أوراقه، تحدث بقلمه وتحدثت بالمؤشر.

- «أنا عملت من حياتى رواية وأنت عملت فى حياتك رواية».

توقف وميض المؤشر وترك حلمى القلم.

سيرة حب



تواصل معنا :

01067000701

E-mail:-Fasla.Pub@Gmail.com

Facebook .Com/Fasla .Pub